وزارة الثقافة

الكرميَّات

تأليف: أحمد شاكر الكرمي

رقمنة

وزارة الثقافة
Ministry of Culture

الكرميّات

وزارة الثقافة الفلسطينية

سلسلة الموروث الثقافي

اسم المؤلف: أحمد شاكر الكرمي

اسم الكتاب: الكرميات

الطبعة الأولى: ١٩٢١

الطبعة الثانية: ٢٠٢١

الإشراف العام: عبد السلام عطاري

مراجعة وتدقيق: رشيد عِناية ونور عرفات

تصميم الغلاف: فاطمة حسين

لوحة الغلاف للفنانة: عفاف عرفات

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ مسبق من الناشر.

All rights are reserved

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher.

فلسطين

www.moc.pna.ps

الكرميات

مجموعة مقالات وقصص
فى موضوعات شتى

بقلم

أحمد شاكر الكرمى

القسم الاول الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة

٢٤٦ ك ١٤٧

٧/١٦/٤

تطلب من ناشرها

محيى الدين رضا

بمطبعة المنار بمصر القديمة

جمادى الثانية سنة ١٣٣٩ هـ = مارس (آذار) سنة ١٩٢١م

حظُّ الأدباء[1]

[1] نُشِرَت هذه المقالةُ في إحدى الصُّحفِ المصريَّةِ بتوقيعِ "قدامة".

شاعت بين أدباءِ العربِ عقيدة أنَّ الأدبَ حرفةٌ سيِّئةُ الحظِّ قليلةُ الخيرِ، وأنَّها محرومةٌ من الرِّزقِ مجلبة للفاقةِ والفقرِ، وقد جاءتِ الإشارةُ إلى هذه العقيدةِ في كثيرٍ من أشعارِهم، وبلغ بهم اليقينُ بصدقِها إلى درجةِ أنَّهم لم يجدوا سبيلًا يعلِّلون به نكبة عبد الله بن المعتزّ إلَّا قولهم "أدركته حرفة الأدب" ولا يبعد أن يكونَ ما وردَ في الشِّعرِ وغيرِه من حرمانِ أهلِ الأدبِ أثرًا من آثارِ مللِ بعضِ الأدباء من تكاليفِ الحياةِ كالَّذي يشعرُ به أغلبُ النَّاسِ، إلَّا أنَّ الشُّعراءَ والأدباءَ استطاعوا بفضلِ صناعتِهم أن يصوغوه في أشعارِهم ويبرزوه للنَّاسِ بطرقٍ كثيرةٍ حتَّى وصلَ إلينا فيما وصل من آثارِهم، ويغلبُ على ظنِّنا أنَّ الاعتقادَ بسوءِ حظِّ الأدباءِ لا يخلو من مبالغةٍ، وأنَّه حديثُ الوجودِ بين النَّاسِ، فإنَّ المأثورَ عن أهلِ الأدبِ في أيَّامِ الأمويِّينَ والعبّاسيّينَ أنَّه كان لهم مقامٌ سامٍ ومنزلةٌ رفيعةٌ عندَ الخلفاءِ والأمراءِ والولاةِ، وكانوا ذوي احترامٍ وهيبةٍ، وكانت العطايا والهباتُ التي تصلُ إليهم تكفلُ لهم العيشَ الرّغيدَ والحياةَ السَّعيدةَ، كلُّ ذلكَ بفضلِ صناعتِهم وأدبِهم، وليسَ من المعقولِ بعدَ هذا أن يكونَ التَّشاؤمُ من تلكَ الصِّناعةِ معروفًا في تلك الأزمانِ،

ولكنَّه على ما يظهرُ قد حدثَ بعد ذلكَ عندما انخفضَ شأنُ اللُّغةِ العربيّةِ وضعفَ أمرُها، وتغلَّبَ على أهلِها الأعاجمُ، فكسدَ سوقُ الأدبِ، وركدت ريحُه وأمسى الأدباءَ منبوذين لا يقام لهم وزنٌ، ولا يُعرَفُ لهم قدرٌ لدى الملوكِ والحكَّامِ فضاقت بهم الحالُ وصاروا يندبونَ سوء حظِّهم ويكون حرمانَهم وينسبونَ ما هم فيهِ إلى شؤمِ صناعتِهم، ثمَّ تابعَهم في ذلكَ كلُّ بائسٍ من الأدباءِ وكلّ مملقٍ من الشُّعراءِ حتَّى اشتُهِرَ الأمرُ ولصقت بالأدبِ تلكَ التُّهمةُ الشَّنيعةُ.

ولم ينجُ الأدبُ العصريَّ من ظهورِ هذه الخرافةِ في آثارِ رجالِه بشكلٍ مبالغٍ فيه، ممَّا دلَّنا على أنَّ كلمةَ "أديب" عند كثيرٍ من النَّاسِ في هذه الأيَّامِ غدت رمزًا للبؤسِ والشَّقاءِ وسوء الحالِ والمتربةِ، وقد رأينا بعض مؤلّفي الرِّوايات التَّمثيليّة العصريّة يعمدون إلى الأديب فيصوِّرونه في رواياتهم تصويرًا مضحكًا ينمّ عن عقيدة النَّاس فيه، وشاهدنا شاعرًا في إحدى الرِّوايات يبرزُ للأنظارِ بهيئةٍ مزريةٍ بشعةٍ وملابسَ رثَّةٍ وشكلٍ قبيحٍ يدلُّ على فرطِ الإهمالِ، وهو يمثِّل في كلامِه وحركاتِه الثِّقلَ الماديَّ والمعنويَّ، ويخرجُ من بين فكَّيه ألفاظًا كقطع الصَّخور، إلَّا أنَّ مثل هذه الصُّورِ ليست مطابقةً للواقعِ من كلّ

الوجوهِ؛ لأنَّنا قلَّما رأينا من الأدباءِ والشُّعراءِ المعاصرينَ من يشبهُ تلكَ الصَّورةَ الشَّوهاءَ معَ أنَّ فيهم الغنيّ والمتوسطَ والفقيرَ.

نعم إنَّ هناك أناسًا من غير أهلِ الأدب حشروا أنفسهم في زمرة الأدباءِ وحسبوا أنفسَهم شعراء وكُتَّابًا بعد مقالةٍ كتبوها، أو قصيدةٍ فاسدةٍ نظموها؛ ظانّين أنَّ الأدبَ مرتقى سهلٌ، فلم يلبثوا قليلًا حتَّى انصرفت عنهم الوجوهُ، وأُغلِقَت دونَهم الأبوابُ، ولازمَهم الفشلُ، فظنُّوا ذلكَ من ذنوبِ الأدبِ الذي انتحلوه، وانفجرَ بركانُ غيظِهم على تلكَ الحرفةِ المشؤومةِ – حرفة الأدبِ – ولو عقلوا لعلموا أنَّ الذَّنبَ في ذلكَ ذنبَهم، وأنَّ فشلَهم راجعٌ إلى قصورِهم الشَّخصيَ وعجزِهم عن الوصولِ بالأدبِ إلى المرتبةِ التي تكفلُ لصاحبِها العيشَ السّعيدَ والحياةَ الطَّيبةَ.

يقولُ كثيرٌ من السَّاخطينَ إنَّ قُرَّاءَ العربيّةِ قليلونَ، وإنَّ قلَّتَهم هي سببُ كسادِ سوقِ الأدبِ، وشقاءِ رجاله، ونحنُ لا ننكرُ قلَّةَ القرَّاءِ عندنا، ولكنَّنا لا نرى قلَّتَهم تسبَبُ مثلَ ذلكَ الأمرِ لرجلِ قديرٍ من رجالِ الأدبِ، يعرفُ مشاربَ القرَّاءِ ورغائبَهم وأذواقَهم فيقدِّمُ لهم ما يشتهون من ثمارِ أدبِه. إنَّ قلَّةَ قرّاءِ العربيَّةِ لا تُسَبِّب بوارَ كلِّ ما

يُؤَلَّفُ ويُكتَبُ في تلكَ اللُّغةِ، ولكنَّها تدعو إلى تحديدِ ما يقبل ويروّج من الآثار، وذلك التَّحديدُ يراعى فيهِ بالطَّبعِ تقديم النَّافعِ الصَّالحِ على سواه، فمن كانت مؤلّفاتُه من غيرِ النَّافعِ الصَّالحِ فلا يلومنَّ إلَّا نفسَه عندما تلاقي بوارًا.

إنَّ مَثَلَ القُرَّاءِ والمؤلّفينَ كمَثَلِ التَّاجرِ وعملائِه، يطلبونَ ما يوافقُهم ويلائمُ أذواقَهم، فإذا وجدوه عنده أخذوه، وإذا لم يجدوه قصدوا سواه، فإن كان هو عارفًا بما يروقُ لهم من الأنواعِ ثمّ أحضرها لهم راجت تجارتُه وفاز بالغُنمِ، وإن لم يكن يعرفُ شيئًا من ذلكَ وأحضرَ لهم أشياءَ لا تروقُهم، أعرضوا عن معاملتِه وتركوه فريسةً للإفلاسِ.

ألَّفَ جُبران خليل جُبران روايةَ الأجنحةِ المتكسِّرةِ فتخاطفَها القرّاءُ حتَّى أتَوْا على آخرِ نسخةٍ منها، وعرّبَ حافظ إبراهيم قسمًا من البؤساء فنفذت[٢] طبعاتُه عدَّةَ مرّاتٍ في زمنٍ يسيرٍ، وترجمَ المنفلوطيّ روايةَ ماجدولين فنفقت نسخُ الطَّبعةِ الأولى في بضعةِ أشهرٍ، وأُعيدَ طبعُها ثانيةً وثالثةً، كلُّ هذه الحوادثِ أدلَّةٌ على أنَّ

---

[٢] هكذا في الأصلِ، والصَّحيحُ: نفدت، فإعجامُ الدَّالِ وجعلُها ذالًا يأخذُ معنى الاختراقِ، أمَّا إهمالُها وجعلُها دالًا يأخذُ معنى الفناء، وربَّما دخلَ في الكلمةِ تصحيفٌ.

قرَّاءَ العربيّةِ لا يقصِّرونَ في مساعدةِ المؤلّفينَ وترويجِ آثارِهم متى كانت نافعةً مفيدةً.

هذا ما يُقالُ عن الأدباءِ بوجهٍ عامٍّ، أمَّا الشُّعراءُ خاصَّةً فإنَّنا لا ننكرُ أنَّ أكثرَهم يلاقونَ من القرَّاءِ إعراضًا ونفورًا، ويرونَ منهم نبوةً وتباعدًا، ولكنَّ الذَّنبَ في ذلكَ ذنبَهم؛ لأنَّهم اتَّخذوا الشِّعرَ شبكةً يصطادونَ بها، وجعلوه سلسلةً من المدائحِ يطوّقونَ بها عنقَ فلانٍ وفلانٍ، وليسَ من حقِّ الأمَّةِ أن تُعنى بشباكِهم وسلاسلِهم لأنَّه لا فائدةَ لها منها. ولو أنَّ أولئكَ الشُّعراءَ جعلوا شعرَهم معرضًا لما يهمُّ الأمَّةَ من الموضوعاتِ، ولما تشعرَ به وتحسّ، لما لاقت أشعارُهم إلَّا الإقبالَ والرّواجَ.

والخلاصةُ أنَّ الأدبَ بأنواعِه لا يخضعُ لشؤمٍ ولا ليمنٍ، وأنَّ الخائبَ فيهِ إنَّما يخيبُ لتقصيرِه، والفائزُ إنَّما يفوزُ بسببِ مقدرتِه ونبوغِه، أمّا عدا هذا فخرافاتٌ وأوهام.

القاهرة: جمادى الأولى سنة ١٣٣٨هـ يناير (ك٢[٣]) سنة ١٩٢٠.

---

[٣] أي كانون الثَّاني.

المُطالعَةُ الفنِّيّةُ[٤]

[٤] نُشِرَت في إحدى الصُّحفِ المصريَّةِ بتوقيعِ (قدامة).

لتعلُّمِ العلمِ وسائلُ كثيرةٌ، أهمَّها السَّماعُ وأشهاها المطالعةُ. أمَّا السَّماعُ وهو التَّلقّي عن الأساتذةِ والمعلّمينَ فهو مشهورٌ معلومٌ وطرقُه كثيرةٌ معروفةٌ إلَّا أنَّ فوائدَه لا توازي فوائدَ المطالعةِ ولا تضاهيها، فإنَّ نظامَ التَّعليمِ في كلِّ المدارسِ ضيِّقٌ لو اقتصرَ عليهِ مخرجو المدارسِ ولم يتجاوزوا ما هو معيَّنٌ فيهِ لكانوا أخسرَ صفقةٍ من كثيرٍ من الجاهلينَ. ونحنُ لا نريدُ بقولِنا هذا إنكارَ فضلِ المدارسِ ولا هضمَ حقِّها، ولكنَّنا نريدُ أن نبيِّنَ أنَّ التَّعليمَ المدرسيّ وسيلةٌ لا غايةٌ، وأنَّ المطالعةَ والبحثَ هما عمادُ النَّبوغِ وبلوغِ أرقى درجاتِ الكمالِ العلميِّ.

نقولُ هذا ونحنُ نعتقدُ أنَّ كثيراً من النَّاسِ عندنا ينظرونَ إلى المطالعةِ نظرةَ ازدراءٍ واستخفافٍ، ويعدُّونها من أبسطِ الأمورِ التي لا تحتاجُ إلى بحثٍ ولا تستحقُّ أن تُكتَبَ في شأنِها المقالاتُ، وما ذلك إلَّا لأنَّ تلكَ الكلمةَ عندهم لا تدلُّ إلَّا على مجرَّدِ القراءةِ البسيطةِ السَّاذجةِ، فهي على رأيِهم لا تحتاجُ إلَّا لمعرفةِ حروفِ

الهجاءِ وكيفيَّةِ النُّطقِ بها ليسَ غير. وهؤلاءِ معذورونَ في رأيِهم ما دامَ هذا مبلغُ علمِهم، وما داموا يجهلونَ أنَّ المطالعةَ هي فوقَ ما يتصوَّرونَ، وأنَّه لو أتيحَ لهم معرفةُ أصولِها وطرقِ الاستفادةِ منها لكانوا أرجحَ أحلامًا وأكثرَ علمًا، ولمَا كانوا يغضون من قدرِها ويبخسونَها حقَّها.

وها نحنُ أولاءِ نبيِّنُ للنَّاسِ شروطَ المطالعةِ الفنيَّةِ التي هي من خيرِ الطُّرقِ لنشرِ العلمِ، معتمدين على أحدثِ الآراءِ العلميَّةِ، وعلى ما شهدناه وثبتَ لدينا بالدَّرسِ والتَّجربةِ، عسى أن يستفيدَ من الاطِّلاعِ عليها من اعتادَ المطالعةَ السّاذجةَ العقيمةَ وأن يعتادَها النَّاشئونَ الذين لا يزالونَ في بدء حياتِهم العلميّةِ.

للمطالعةِ شرطانِ وواجبانِ – وليغفرْ لنا الأدباءُ استعمالَ مصطلحاتِ الفقهاءِ هذه المرَّة – أمَّا شرطُها الأوَّلُ فاستعدادُ المطالعِ الشَّخصيّ لقبولِ الآراءِ النَّاضجةِ، وقد قالَ أحدُ حكمائِنا القدماءِ (راجع الحيوانَ للجاحظ ج١ ص٣٠) "إنَّ الكتبَ لا تحيي الموتى ولا تحولُ الأحمقَ عاقلًا ولا البليدَ ذكيّا. ولكنَّ الطَّبيعةَ إذا كانَ فيها أدنى قَبولٍ، فالكتبُ تشحذُ وتفتقُ وترهفُ وتشفي".

أمّا الشَّرطُ الثَّاني فهوَ انتخابُ النَّافعِ من الكتبِ، وهذه عقدةٌ من العقدِ لم يتَّفقِ العلماءُ على حلِّها ولن يتَّفقوا، فإنَّهم ما زالوا ولن يزالوا مختلفينَ في تقديرِ قيمةِ كلِّ كتابٍ ونفعِه، ولا يزالُ فريقٌ منهم يرى أنَّه لا يوجَدُ كتابٌ يخلو من فائدةٍ، ولكنَّ هذا رأيٌ لا ينبغي أن يصغيَ إليهِ الشَّبابُ المتعطِّشونَ للعلمِ الذينَ يريدونَ زادًا عاجلًا يبلغُهم الغايةَ التي يقصدونَها، فإنَّ هؤلاء في حاجةٍ إلى الكتبِ المحقّقةِ النّفع ووقتهم لا يتَّسع للتَّجاربِ والاختباراتِ، وإنَّ خيرَ ما يعملونَه ويعمله سواهم أيضًا هو اتِّباعُ رأي أكثريَّةِ أهلِ العلمِ في اختيارِ الكتبِ النَّافعةِ في العلومِ التي يميلونَ لدرسِها.

هذانِ هما الشَّرطانِ اللَّذانِ يجبُ استكمالُهما قبلَ المطالعةِ، وأمَّا الواجبانِ اللَّذانِ هما عمادا المطالعةِ وركناها، فأوَّلهما تحديدُ العملِ وتعيينُه ثمّ التَّفرّدُ لهُ وإتمامُه، وذلك كانَ يعزمُ طالبَ التَّاريخِ على درسِ حادثةٍ خاصَّةٍ أو قسمٍ معيَّنٍ فينقطعُ لدرسِه في مظانه حتَّى يتمَّه. أو كأن يرغبَ طالبُ الأدبِ في درسِ شعرِ المتنبّي أو ابنِ الرَّوميّ مثلًا، فيعكفُ عليهِ حتَّى يفرغَ منهُ، فإنَّ هذه الطَّريقةَ تعيِّنُ حدودَ العملِ وتساعدُ على الاختصاصِ والتَّبحّرِ.

أمّا الواجبُ الثَّاني – وهو أهمّ من كلِّ ما سلفَ – فهوَ أنْ يُفَكِّرَ المطالعُ فيما يقرأُ بقدرِ ما يقرأُ، فإنَّ مجرَّدَ القراءةِ لا يكفي للاستفادةِ، وقد قالَ الفيلسوفُ الإنجليزيُّ (أرنولد بنت) عن الذين يقرؤونَ من غيرِ تفكيرٍ: إنَّهم أدمنوا القراءةَ كما أدمنَ بعضُ النَّاسِ السَّكْرَ، وإنَّهم يجولونَ في أرضِ الآدابِ على سيّاراتِ (أتومبيلات) وغرضُهم الوحيدُ هو مجرّدُ الحركةِ، إنَّهم سيخبرونكَ كم قرؤوا من الكبِ في ظرفِ عامٍ، إلَّا أنَّ من لم يهب على الأقلّ نصفَ الوقتِ الذي يخصُّه للمطالعةِ ليفكِّرَ فيما قرأه تفكيراً عميقًا متعبًا – ويظهرَ هذا في بَدءِ الأمرِ أنَّه تكليفٌ مخيفٌ – فإنَّ كلَّ مطالعةٍ ستضيعُ سدًى.

هذه هي شروطُ المطالعةِ الفنيّةِ وواجباتُها، وهي كما يرى القارئُ ليست مستحيلةً ولا هيِّنةً، فمن أرادَ أن يهذِّبَ عقلَه ويوسِّعَ دائرةَ فكرِه ويزيدَ في مادَّةِ علمِه فعليهِ أن يتَّبعَ أحكامَها ونحنُ نبشِّرُه سلفًا بكلِّ فوزٍ وفلاحٍ.

القاهرة: جمادى الثَّانية سنة ١٣٣٨هـ فبراير (ش) سنة ١٩٢٠.

الآدابُ العربيّةُ وفنُّ الانتقادِ[٥]

[٥] نُشِرَت في إحدى الصُّحفِ المصريَّةِ بتوقيعِ (قدامة).

النَّقدُ فنٌّ ذوقيّ جليلٌ يهذِّبُ الآدابَ وينقّيها، ويصلحُ ما فسدَ من أساليبِ القولِ وطرقِ التَّعبيرِ، كما أنَّه يهدي إليهِ حسناتِ الكُتَّابِ والشُّعراءِ وبدائعَهم لينسجَ على منوالِهم من يأتي بعدَهم، ويرشدَ إلى مواطنِ أغلاطِهم وأماكنِ ضعفِهم؛ ليتجنَّبها مقلِّدُوهم والسّائرونَ على أثرِهم وقد عرفَ الغربيّونَ قدر هذا الفنِّ وأدركوا عظيمَ فائدتِه ونفعِه للآدابِ فتصدَّى له أشهرُ كتَّابِهم وأبرعُ أدبائِهم، فلم يتركوا ثمرةً من ثمارِ حقلِ الأدبِ إلَّا ذاقوا طعمَها وأعطوها حقَّها من الوصفِ، ولم يدعوا في آثارِ الأقلامِ ضعفًا ظاهراً أو خفيّا ولا معنى واضحًا أو مبهمًا ولا تعبيراً رشيقًا ولا جملةً بارعةً إلَّا أرشدوا إلى ذلكَ كلِّه ونوَّهوا بهِ، وما زالَ هذا شأنُهم حتَّى اعتزَّت دولةُ الأدبِ عندَهم وأشرقَ شمسُها ووصلت في الجمالِ والبهاءِ إلى الحالةِ التي نراها اليوم.

أمَّا نحنُ، فإذا كانَ تقدُّمُ الآدابِ الغربيّةِ وعلوَّ شأنِها هو ثمرة عنايةِ أئمةِ الأدبِ بالنَّقدِ، فإنَّ تقهقرَ آدابِنا وانحطاطَها والفوضى التي

تسري فيها هي ولا ريبَ ثمرةُ إهمالِنا هذا الفنَّ أو استخدامنا له استخدامًا ناقصًا، وليسَ هذا ناشئًا عن عدمِ وجودِ أعلامٍ يتقنونَ هذا الفنَّ، ورجالٍ يوفونه حقَّه، فإنَّ لدينا من هؤلاءِ من يسدُّ الحاجةَ، ولكنَّه آتٍ من أمورٍ أخرى، أهمَّها القصورُ في فَهمِ حقيقةِ الانتقادِ عندَ الجمهورِ وجبنِ الأدباءِ وخوفهم.

انظر إلى رجالِ النَّهضةِ الأدبيّةِ الحاضرةِ التي اعادت للغيّورينَ على الآدابِ شيئًا من الأملِ فإنَّكَ ترى أكثرَهم عاكفينَ على الملقِ والمداهنةِ، لا همَّ لأحدِهم إلا امتداح كتاب صديقِه فلان، وتقريظ قصيدة زميلِه فلان، يبتاعُ بذلكَ مدحَهم لآثارِهم وإطراءَهم بنات أفكارِه، ويتوسَّل به إلى قفلِ أفواهِهم وصرفِهم عن نقدِه. أمَّا الذينَ يتصدُّونَ للنَّقدِ منهم، فإنَّهم – على قلَّتهم – قلَّما يكون نقدُهم حبّا بالنَّقدِ وقياماً بحقِّه بل يكونُ في الغالبِ حبّا بانتقاصِ المنتقدِ وإسقاطِ مكانتِه لحزازاتٍ في النُّفوسِ وغلّ في الصُّدورِ كما شاهدنا ذلكَ في انتقاداتِ المازنيّ والعقَّادِ وعبدِ الرَّحمنِ شكري وغيرهم من رجالِ الأدبِ في مصرَ، وهذا كما لا يخفى ممَّا يحطُّ من قيمةِ النَّقدِ ويقلِّلُ من شأنِه مهما كانت مهارةُ النَّاقدِ وقربه من الصَّواب.

أمَّا المشتغِلون بالصَّحافةِ العربيّةِ فيظهرُ أنَّهم لا يزالون بعيدين أيضًا عن سلوكِ سبيلِ النَّقدِ الصَّحيحِ كما يشهدُ كلُّ قرَّاءِ الصُّحفِ والمجلَّاتِ العربيَّةِ التي صمتت ألسنتُها إلَّا عن إنشاءِ فصولِ المديحِ وتحبيرِ آياتِ التَّقريظِ لكلِّ كتاب يهدى إليها والتي لا تكادُ تنظرُ في أثرٍ من آثارِ الأقلامِ إلَّا نظر المادح المطنب والمثنى المسهب، ولو كانَ ما تنظرُ فيهِ لا يستحقُّ إلَّا الذَّمَّ الموجعَ والهجوَ المقذعَ، وقد شذَّت مجلةُ المقتطفِ عن هذه القاعدةِ في نقدِ ما يُهدى إليها إلَّا أنَّ حظَّ الكتبِ الفلسفيّةِ والعلميّةِ من النَّقدِ الصَّحيحِ أوفى عندها من حظِّ كتبِ الأدبِ لأسبابٍ لا تخفى.

قلنا إنَّ أهمَّ أسبابِ انحطاطِ فنِّ النَّقدِ في آدابِنا هو القصورُ في فَهمِ حقيقةِ النَّقدِ عندَ جمهورِ الأدباءِ ثمَّ خوفُ القادرين على وجبنُهم، أمَّا الأمرُ الأوَّلُ فإنَّه يظهرُ من كراهةِ كلِّ أديبٍ لنقدِ شيءٍ من آثارِهِ مهما كانَ النَّقدُ حكيمًا بعيدًا عن الشَّخصيّاتِ والأغراضِ؛ وذلك لأنَّ معنى النَّقدِ المعروفِ عندَ جمهورِ الأدباءِ هو الحطُّ من كرامةِ المنتقدِ وتسفيهُ آرائِه، ولعلَّ هذا ناشئٌ من شيوعِ هذا النَّوعِ من الانتقادِ بينَ أدبائِنا في هذا العصرِ. ومن قلَّةِ الانتقاداتِ الفنيّةِ التي لا يُقصَدُ بها إلَّا خدمة الفنِّ والقيام بحقِّه. وأمّا الجبنُ والخوفُ فهما

أفظعُ أمراضِنا الأدبيّةِ بلا شكٍّ، وممَّا يوجبُ الأسفَ أن يكونا شائعين منتشرين بين القسمِ الأعظمِ من أدبائِنا وكتَّابِنا، فترى الأديبَ عندنا حينما يُعرَضُ عليهِ كتابٌ ويرى فيه أمورًا لا يصحَّ السَّكوتَ عنها، لا يجدُ في نفسِه الشَّجاعةَ الكافيةَ للتَّنبيهِ على ما فيهِ، وبيانِ خطئِه مهما كانتِ الفائدةُ التي تعودُ على الأدبِ من جرَّاءِ ذلكَ فإذا ما سألتْه عن سببِ إحجامِه عن نفعِ أمَّتِه ولغتِه أجابكَ بقولِه: إنَّني أخشى أن أُغضِبَ مؤلِّفَ الكتابِ وليسَ بيني وبينه ما يدعو إلى الإساءةِ إليهِ بنقدِ كتابِه، ويظهرُ هذا الخلقُ في بعضِ أدبائِنا بمظهرٍ أسوأ من ذلك، فقد يتَّفقُ أن يشهدَ هذا الأديبُ الجبانُ في كتابٍ يُعرَضُ عليهِ بأنَّه خيرُ ما أُخرِجَ للنَّاسِ ويصوغُ لهُ أجملَ عباراتِ المدحِ وأبلغَ كلماتِ الثَّناءِ – معَ أنَّه يعتقدُ فيهِ عكسَ ذلكَ – عندما يطلب منه مؤلِّف الكتابِ مثلَ هذه الشَّهادةِ ليزينَ بها صدرَ كتابِه، ولو شئتَ لعددتُ عشراتٍ من مشاهيرِ أدبائِنا الذين ارتكبوا هذا الأمرَ خوفًا وجبنًا.

كلُّ هذا يزيدُنا إيمانًا بأنَّ هذا الفرعَ – النَّقدَ – من شجرةِ الأدبِ العربيِّ لا يزالُ محتاجًا إلى عنايةٍ ورعايةٍ ليورقَ ويزهرَ حتَّى تكونَ

تلكَ الشَّجرةُ العظيمةُ كاملةَ الأفنانِ تامَّةَ الأغصانِ، فمن لنا برجالٍ يسدّون هذا الثَّغرَ ويرأبونَ هذا الصَّدعَ؟

إنَّنا في حاجةٍ إلى رجالٍ من أئمَّةِ الأدبِ وأساطينِه جبلوا على الشَّجاعةِ الأدبيّةِ وصراحةِ القولِ فلا تأخذُهم في الحقِّ لومةَ لائمٍ، وامتلأت نفوسُهم بالغيرةِ على الأدبِ، وهامت قلوبُهم بحبِّ الفنِّ لذاتِه وحبّ تعزيز شأنِه. وتجرَّدوا على الغاياتِ والأغراضِ الشَّخصيّةِ لينقضُّوا بكلّ تلك الأسلحةِ والمعدَّاتِ على عشراتِ الكتبِ التي يصدرُها المؤلّفونَ والمعربونَ في كلّ عامٍ فينظروا فيها نظرةَ الحكيمِ المخلصِ ويبيّنوا لنا ما فيها من خيرٍ وشرٍّ ويفرقوا بينَ الصَّالحِ منها والطَّالح، والضَّار والنَّافع، ويقضوا على تلكَ النَّباتاتِ الطّفيليّةِ التي تظهرُ في حقلِ الأدبِ العربيِّ مغتنمةً غفلةَ الغيّورينَ ونومَ الحارسينَ، حتَّى تعودَ للأدبِ العربيِّ نضارةُ عهدِه الماضي، وبهاءُ شبابِه القديمِ.

القاهرة: ربيع الثَّاني سنة ١٣٣٨. يناير (ك٢) سنة ١٩٢٠.

تعدُّدُ الزَّوجاتِ[٦]

[٦] نُشِرَت في إحدى الصُّحفِ العربيَّةِ بتوقيعِ (مسلم حر).

كانَ العربُ قبلَ الإسلامِ يبيحونَ لأنفسِهم التَّزوُّجَ بما يشاؤونَ من النِّساءِ من غيرِ تحديدٍ أو تقييدٍ، وجاءَ الإسلامُ فرخَّصَ بزواجِ واحدةٍ إلى أربع، وجعل لتجاوزِ الواحدةِ شروطًا معيّنةً كما هو معلومٌ، إلَّا أنَّ تلكَ الشُّروطَ لم تلبث أن تناسى النَّاسُ أمرَها، وألقوها في زاويةِ الإهمالِ، وأصبحَ تعدُّدُ الزَّوجاتِ عندَنا مطلقًا من كلِّ قيدٍ وشرطٍ، فنجمَ عن ذلكَ شؤونٌ وشجونٌ كان لها أثرٌ سيّءٌ في حياتِنا المنزليّةِ.

وقد نظرَ الغربيّونَ إلى تعدُّدِ الزَّوجاتِ عندنا نظرَهم إلى أغربِ الأمورِ وأعجبِها، وحركتهم مخالفته لعادتهم وما درجوا عليهِ إلى استقباحِه وكراهتِه، وقليلٌ منهم من بنى استقباحَه على أساسٍ متينٍ، وتابعَهم في ذلك كثيرٌ من رجالِنا الذين يرون الخيرَ كلَّه في تقليدِ القومِ وترديدِ صدى ما يقولونَ. وقد رسخَ في أذهانِ السَّوادِ الأعظمِ منَّا أنَّ تعدُّدَ الزَّوجاتِ أمرٌ دينيّ، وأنَّ البحثَ فيهِ يمسَّ جوهرَ الدِّينِ فعوّلوا على أن يصموا آذانَهم عن سماعِ كلِّ قولٍ فيهِ

مهما كانَ شأنُ قائلِه، معَ أنَّ تعدُّدَ الزَّوجاتِ في الإسلامِ ليسَ هو شيئًا مأمورًا بهِ كالصَّلاةِ والزَّكاةِ، ولكنَّه رخصةٌ مباحةٌ بشروطٍ لا يأمرَ بها الشَّارعُ كما يأمرَ بالزَّواجِ مثلًا، ولا ينهى عنها كما ينهى عن شربِ الخمرِ، فالَّذينَ يتعرّضونَ لتقبيحِ الإتيانِ بها لا يضيرونَ الدّينَ في شيءٍ مهما كانت أغراضُهم ومقاصدُهم.

ونحنُ إذا أردنا أن نخوضَ موضوعَ تعدُّدِ الزَّوجاتِ فلا نخوضُه إلَّا ونحنُ على يقينٍ من أنَّه أمرٌ اجتماعيٌ بحت لا يضرّ الدّينَ استحسانُه أو استقباحُه، ولا يضيرُه الحضُّ على إتيانِه أو التَّنفيرِ منه، ورجاؤنا أن يتمشَّى القرّاءُ معنا في تحليلِه، ويستمعوا لنا بيانَ فوائدِه وأضرارِه، وذكر محاسنِه ومساويه، ولهم بعدَ ذلكَ الخيرةُ في استعمالِ هذه الرَّخصةِ أو تركِها وفي التَّمسُّكِ بها أو نبذها.

شُرِّعَ الزَّواجُ لحفظِ النَّوعِ؛ وليكونَ كلٌّ من الزَّوجينِ عونًا للآخرِ على الزَّمانِ وشريكًا له في نعيمِ الحياةِ وبؤسِها، إلَّا أنَّه قد يتَّفقُ أن يختارَ الرّجلُ زوجًا تكونُ غير أهلٍ لتحقيقِ الأغراضِ المبتغاةِ من الزَّواجِ، كأن تكونَ عقيمًا لا تصلحُ لإنتاجِ النَّسلِ، فما الذي يعملُه الرّجلُ حينذاك؟ أفَلَا يكونُ من العدلِ أن يُسمَحَ لهُ بالتَّزوّجِ من غيرِها معَ

استبقائِها عندَه ترتعُ في ظلّ نعمتِه، خصوصًا بعد أن يصبحَ تركُه إيَّاها ضربةً قاضيةً على حياتِها وسعادتِها وسببًا في رغبةِ النَّاسِ عنها؟ ثمَّ ألا يكونُ في ذلكَ فائدةٌ كبرى للمجتمعِ ولسعادةِ النَّاسِ؟ إنَّنا لا نشكُّ في ذلك ابدًا، ولكن هل نحن مقتصرونَ على استعمالِ هذه الرُّخصةِ في مثلِ هذه الضَّرورةِ وما يشبهُها؟ اللهم لا!

إنَّ الفريقَ الأعظمَ من الذين يتزوَّجونَ أكثرَ من واحدةٍ لا يكونُ لعملِهم سببٌ مشروعٌ يدعو إليهِ، وكلُّهم أو أكثرُهم لا يرمونَ إلَّا لأغراضٍ تافهةٍ، وقد تكونُ مخجلةً أيضًا، من غيرِ أن يفكِّروا في عواقبِ عملِهم وفيما يجرّه على بيوتِهم من الخرابِ.

يتزوَّجُ أحدُهم اليومَ فتاةً في بهجةِ عمرِها وريعانِ شبابِها ثمَّ يدركُها بعدَ أعوامٍ ما يدركُه هو نفسُه من آياتِ الكبرِ، فتراهُ يسرعُ للتَّفتيشِ عن فتاةٍ ثانيةٍ لم تذبل بعدُ زهرةُ شبابِها؛ ليمتعَ نفسَه بضعَ سنينَ أخرى، وقد يلحقها بثالثةٍ ورابعةٍ إذا سمحَ لهُ يسارُه وغناهُ، حتَّى إذا نما عددُ أبنائِه وكثرَ سوادُهم أرسلت أمَّهاتُهم عقاربَ العداوةِ والبغضاءِ وبذرت في نفوسِهم بذرةَ الكراهةِ والخصامِ فشبَّوا على الجفاءِ والتَّقاطعِ، فيصبحُ المنزلُ حينئذٍ ميدانًا للمنازعاتِ

والخصوماتِ ولا يزالُ الشِّقاقُ فيهِ ينمو ويعظمُ حتَّى يصلَ إلى أبعدِ غاياتِه وخصوصًا بعدَ أن يدركَ الأبَ الموتُ، فهناكَ تنفجرُ براكينُ الأحقادِ وتظهرُ القلوبُ مضمراتِها، ويصبحُ السَّلامُ والوئامُ أبعدَ من بيضِ الأنوق، وهذه حقيقةٌ لا يمتري فيها أحدٌ منا، بعد أن رأينا مئاتٍ من الحوادثِ التي تؤيِّدها في البيوتِ والأسرِ التي سرى إليها داءُ تعدُّدِ الزَّواجِ، ولا أظنُّ أنَّ رجلًا أوتي مسكةً من عقلٍ وهدى يتردَّدُ في استكراهِ أمرٍ يؤدّي إلى عواقب مثلِ هذه العواقبِ.

ونحنُ نكتفي بهذا في بيانِ ما يلحقُه تعدُّدُ الزَّوجاتِ بالأسرِ والبيوتِ من المحنِ، وفي ظنِّنا أنَّ ذلكَ كافٍ لتحذيرِ النَّاسِ من الإقدامِ عليهِ، ولا نعني بالنَّاسِ أولئكَ الذين عشَّشت في أدمغتِهم الأوهامُ وصارَ من المستحيلِ تحويلُهم عن عادةِ ألفُوها، وإن كانت مضرَّةً مرديةً، فإنَّنا لا نكتبُ لهؤلاءِ ولا نخاطبُهم، ولكنَّنا نكتبُ للنَّاشئينَ الذين لا تزالُ عقولُهم نظيفةً نقيّةً ليجتنبوا في مستقبلِ أيَّامِهم هذا الأمرَ الذي يفكِّكُ أوصالَ الأُسَرِ ويحلّ عرى وئامِها، ويوقدُ بين أفرادِها نيرانَ العداوةِ والبغضاءِ إلى الأبدِ، فإذا هم أقلعوا عن إتيانِه إلَّا لضرورةٍ وسببٍ مشروعٍ صانوا حياتَهم من الإكدارِ وحفظوا أُسَرَهم من الدَّمارِ وأراحوا أمَّتَهم من داءٍ عضالٍ ما زالَ يفتكُ فيها فتكًا ذريعًا منذ مئاتِ السِّنينَ.

القاهرة: صفر سنة ١٣٣٨. نوفمبر سنة ١٩١٩.

الطَّلاق[٧]

[٧] نُشِرت في إحدى الصُّحف المصريَّة بتوقيع (مسلم حرّ).

جاءتِ الشَّريعةُ الإسلاميّةُ ببعضِ الرّخصِ ليلجأ إليها المسلمونَ عندَ الضَّرورةِ وليكونَ لهم فيها مخرجٌ عندَ الاضطرارِ وشدَّةِ الاحتياجِ، ومن تلكَ الرّخصِ الطَّلاقُ.

وقد كانَ الطَّلاقُ معروفًا عندَ العربِ في الجاهليّةِ على نحوِ ما هو عليهِ في الإسلامِ، وهو ولا شكَّ ممَّا تدعو الضَّرورةُ إليهِ في بعضِ الأحايينِ، يدلُّنا على ذلكَ اضطرارُ الأممِ المسيحيّةِ الأوروبيّةِ إلى تقريرِه في قوانينِها المدنيّةِ "وقد عمَّت هذه القوانينُ أوروبا وأمريكا الآن، ويقالُ بالإجمالِ إنَّ الأممَ اللَّاتينيّةِ كفرنسا وإيطاليا وبلجيكا أحلَّت الطَّلاقَ ولكنَّها ضيّقته بعضَ التَّضييق، وأنَّ الأمم الجرمانيّةَ – إلَّا الإنجليزيَّةَ – وسّعت دائرتَه، وأمّا الأممُ السّلافيّةُ فإنَّها توسّطت فيه"[٨].

غير أنَّنا معاشرَ المسلمينَ غفلنا عن حكمةِ تشريعِ الطَّلاقِ، ونسينا سرّ إباحتِه وعزبَ عن أذهاننا أنَّه رخصةٌ من الرّخَصِ المبغوضةِ التي

---

[٨] دائرة معارف وجدى.

لا يُطرَقُ بابُها إلَّا عندَ الحاجةِ والاضطرارِ، فغدا الرّجلُ منا يرى فسخَ عقدةِ النِّكاحِ من أهونِ الأمورِ وأسهلِها، وصارَ لا يحجمُ في ساعةِ غضبٍ أو جنونٍ عن قطعِ الرَّوابطِ الزَّوجيّةِ بكلمةٍ واحدةٍ، وبالجملةِ فإنَّه أمسى يتصرّفُ بذلكَ الحقِّ الموكولِ إليهِ تصرّفًا جائرًا، حتَّى إنَّه ليجعلَه حلفةً يحلفُ بها، ويمينًا يقسمُ به على ما دقَّ وما جلَّ، وهكذا انحطَّ مقامُ حكمةٍ من حِكَمِ الدّينِ الإسلاميِّ – وهي الطَّلاقُ – فسقطت منزلتُها وتدنَّت بفعلِ الجهلِ والتَّأخُّرِ.

وقد أدَّى توسُّعُ جهلةِ المسلمينَ وعدمُ فَهمِهم حكمةَ الطَّلاقِ إلى نتائجَ سيِّئةٍ، فأدخلَ الوهنَ والضَّعفَ على الرّابطةِ الزَّوجيّةِ وحطَّ قيمةَ الحياةِ البيتيَّةِ وابتذلَها كثيرًا، والنَّاظرُ إلى حالةِ الأُسَرِ في البلادِ التي خرجَ فيها الطَّلاقُ عن طورِه الشَّرعيَ والاجتماعيَ يدركُ لأوَّلِ وهلةٍ تأثيرَ ذلكَ في شؤونِ الحياةِ المنزليّةِ، وكثيرًا ما يرى أنواعًا من الشُّذوذِ في معاملةِ المرأةِ للرَّجلِ ويشعرُ بفَقدِ الامتزاجِ الرُّوحيِّ التَّامِّ بينهما بسببِ وجودِ شبحِ الطَّلاقِ المرعبِ في الأذهانِ، وكثيرًا ما تعدُّ المرأةُ زوجها موردًا ينتظر نضوبَه فتعمل للحصولِ على كلِّ ما يمكنُ أن تحصلَ عليهِ منهُ حتَّى تكونَ رابحةً غيرَ خاسرةٍ عندما يعنُّ له تركُها وهجرُها هجرًا أبديًّا، فيكونُ تعاملُهما تعاملَ زبونين يتبادلانِ

المنافعَ الماديَّةَ لا زوجين يؤلّف بينهما عقد الزَّواجِ، ويجمع بين روحيهما الحبَّ ويتبادلانِ أقدسَ العواطفِ وأسماها. أمَّا الرِّجالُ فكثيراً ما تراهم يعمدونَ إلى الزَّواجِ عندما يعزَّ عليهم أن يرتعوا في مرعى حرام، أو حينما يعرض لهم غرضٌ آخر، فيوقعونَ في حبائلِهم نساء غوافلَ يلقين إليهم زمامَ أمورهنّ فإذا ما قضوا غرضَهم أو لاحَ لهم بارقُ طمعٍ أو نفعٍ فارقوهنّ بكلمةٍ واحدةٍ، وتركوهنَّ يندبنَ ما فرطنَ بهِ، ويسخطنَ على من فتحَ للرِّجالِ أبوابَ الاحتيالِ على ربَّاتِ الحجالِ.

ولستُ أدري إلى متى نظلُّ عاجزينَ عن تلافي هذه النَّازلةِ الخطيرةِ التي تشوهُ جمالَ حياتِنا البيتيّةِ وتحطُّ من مقامِها السَّامي خصوصًا بعد أن بدت لنا أضرارَها، وأصبحت ظاهرةً محسوسةً يدركُها الأعمى والبصيرُ، أنَّ الطَّلاقَ – مثل كلّ أمرٍ آخرَ – لهُ طرفانِ؛ إفراطٌ وتفريطٌ، ووسطٌ هو الاعتدالُ، فلماذا نعمدُ إلى أضرّ طرفيه ونترك الوسطَ الذي هو خيرُ الأمورِ والذي هو أشدُّ انطباقًا على روحِ الدّين الحنيفِ؟

لقد كَثُرَ عددُ المصلحين الذين دعوا إلى ملافاةِ هذا الخطرِ والرُّجوعِ عن خطَّةِ الإفراطِ، ولكنَّ أثر دعوتهم كان ضعيفًا، ولستُ أدري أذلكَ لجمودِنا أم لشدَّةِ حبِّنا لأنفسِنا وكراهتِنا الامتناعَ عن أمرٍ يعدِّدُ ألوانَ طعامِنا، وينوِّعُ صحافَ أكلِنا، ويفسحُ لنا سبلًا جديدةً للملاذ؟ إنَّ كلا الأمرين محتملٌ جائزُ الوقوعِ، وكلٌّ منهما – إذا ثبتَ – جديرٌ بأن يخجلَنا، ويضعَ من قدرِنا.

مكة: جمادى الأولى ١٣٣٧. فبراير (شباط) سنة ١٩١٩.

فلسفةُ الحبّ

LOVE'S PHILOSOPHY

مترجمة من بواكير شلي[٩]

[٩] هو بيرسي بيش شيلي، أحد أشهر الشعراء الرومانسيين الإنجليز في أوائل القرن التَّاسع عشر، حيث ولد عام ١٧٩٢، وتوفِّي عام ١٨٢٢.

تمتزجُ الينابيعُ الفيّاضةُ بالأنهارِ

وتختلطُ الأنهارُ بالبحرِ المحيطِ

ورياحُ السَّماءِ تصاحبُها إلى الأبدِ

نغمةٌ تقطرُ رقَّةً ولطفًا

وكلُّ شيءٍ في العالمِ مقضيٌّ عليهِ

بأن يرافقَ شيئًا مثله يسكنُ إليهِ

***

انظري، فالجبالُ تلثمُ بشفاهِها السَّماوات العُلا

والأمواجُ يضمّ بعضها بعضًا

وليسَ ثمَّة زهرة تنال الرِضا

إذا ترفَّعتْ عن نظيرتِها وازدرت بها

إنَّ شعاعَ الشَّمسِ يعانقُ البسيطةَ - كلَّ يومٍ -

ونورَ القمرِ يقبِّلُ وجنةَ المحيطِ - كلَّ ليلةٍ -

ولكن ما قيمةُ تلكَ القبلِ كلِّها

إذا أنتِ لم تقبِّليني؟

الحُرَيَّةُ

LIBERTY

مترجمةٌ من "بواكير شلي"

١

الجبالُ النَّاريَّةُ يجاوبُ بعضُها بعضًا

وبقاعُها تعجُّ بأصداءِ الثُّلوجِ المتساقطة،

والبحورُ الثَّائرةُ يوقظُ كلٌّ منها أخاه،

وصخورُ الجليدِ تهتزُّ وتتماوجُ فوقَ تاجِ الشِّتاءِ

بينما بوق العاصفةِ يلعلعُ في الفضاءِ

٢

من خلالِ سحابةٍ فذَّةٍ يلمعُ ضَوءُ البرقِ

فتفيضُ ألفُ جزيرةٍ بالأنوارِ

وهزَّة الأرضِ تحولُ مدينة إلى رماد

وترتجفُ لها ماية بلد وترتجّ

معَ أنَّ صوتَها يصدرُ من تحتِ سطحِ الغبراء

٣

ولكنَّ نظراتِك – أيَّتُها الحريَّةُ – أحدُّ من ضوءِ البرقِ

وخطواتِكِ أسرعُ من هزَّةِ الأرضِ

أنتِ تُخرِسينَ هياجَ البحورِ

ونجمكِ يغشى البراكينَ ويطمسُ نارَها

ونورُ الشَّمسِ بالنِّسبةِ لنورِك ضئيلٌ خامدٌ خابي

٤

من السَّهولِ والبطاحِ ومن أبخرةِ الجوِّ المتكاثفةِ

ينفذُ نورُ الشَّمسِ خلالَ طبقاتِ الضَّبابِ

ومن المدينةِ إلى القريةِ ينفذُ شعاعُ فجرِك،

ويكونُ الظَّالمونَ والعبيدُ أمامكِ كظلالِ اللَّيلِ

أمامَ مقدّمةِ نورِ النَّهارِ

التَّقلُّب

MUTABILITY

مترجمةٌ من بواكير شلي

١

نحنُ كالسَّحبِ التي تحجبُ صفحةَ القمرِ في منتصفِ اللَّيلِ

تنتشرُ متثاقلةً متباطئةً وتومضُ وتهتزَّ

مخطِّطةً رقعةَ الظَّلامِ بأشعَّتِها، إلى أن يسرعَ اللَّيلُ

ويحيطَ بها من كلِّ جانبٍ، فتغيبَ في طيّاتِه إلى الأبدِ

٢

أو كالقيثاراتِ المنسيّةِ التي تعطي أوتارُها الصَّامتةُ

لكلِّ عاصفةٍ متقلِّبةٍ جواباً مختلفًا،

والتي لا تشبهُ نغمة من نغَماتِها الأخرى،

ولا يماثلُ أوَّلُ ألحانِها آخرَها

٣

ننامُ – وللأحلامِ قوّةٌ تسمَّمُ بها النَّومَ –

ونستفيقُ – وفكرةٌ شاردةٌ تدنِّسُ بياضَ اليومِ –

ونشعرُ، ونتصوّرُ، ونتعقَّلُ، ونضحكُ، أو نبكي

ونحزنُ للمصائبِ أو نطرحُ همومَنا جانبَا

٤

كلّ ذلك سواء! اجعلْه فرحًا أو حزنًا

فبابُ ارتحالِه لا يزالُ مفتوحًا

إنَّ أمس الإنسانِ لا يمكنُ أن يكونَ مثلَ غدِه

وليسَ ثمَّة شيء يدومُ غيرَ (التَّقلُّب)

الفلسفة الشَّرقيّة أو نادي "سورات"

THE COFFEE HOUSE OF SURAT

قصّة فلسفيّة من وضع الكاتب الفرنسيّ "برنارد بن دو سان بيير"

عن الإنجليزيّة

كان في مدينة "سورات" في الهند مقهى، يلتقي فيه الغرباءَ السَّائحونَ، ويجتمعُ فيهِ أهلُ الأسفارِ المتجوِّلون الذين يأتونَ من مختلفِ الأقطارِ، فيؤلّف ذلك النَّادي بينَ أجناسِهم المختلفةِ، وأشكالهم المتباينةِ، وينيلهم ما يبتغونَ من سمرٍ وحديثٍ وقصٍّ أخبارٍ وحكايةِ أسفارٍ.

وقد اتَّفقَ في أحدِ الأيَّامِ أنَّ رجلًا فارسيًّا من علماءِ اللَّاهوتِ أمَّ ذلكَ النَّادي، وكان ذلك الرّجلُ قد صرفَ أيَّامَ حياتِه في درس الإلهيّاتِ، وفي السَّي وراء معرفةِ كنه الإلهِ المعبودِ وحقيقتِه، فلم يترك بحثًا كتبه إلَّا ولون في ذلك الموضوع إلَّا قرأه ووعاه، ولم يدع شعبةً من شعبِ التَّفكيرِ والاستنتاجِ إلَّا سلكَها، وما زالَ هذا شأنه، يفكّر ويقرأ ويكتبُ حتَّى سُلِبَ عقله وهداه، وفقد ذكاءَه وفطنتَه فتاهَ في شعابِ تلكَ الأبحاثِ وضلَّ في أوديتِها، وأوقعته الحَيْرَةُ في شباكِها وكبّله الشَّكُّ في قيودِه وانتهى به الأمرُ إلى إنكارِ وجودِ الخالقِ الحقّ،

ونما خبرُ ضلالتِه إلى ملكِ فارس فأمرَ بأن يُنفى من أرضِه ويُطرَدَ من مملكتِه. وكانَ لذلكَ العالمِ عبدٌ أسودُ يتَّبعه حيثما سارَ فلمَّا ولجَ مولاهُ بابَ النَّادي واستقرّ بهِ المقامُ على متَّكئٍ فيه جلسَ العبدُ على حجرٍ خارج البابِ تحت أشعَّةِ الشَّمسِ المحرقةِ وأخذ يطردُ أسرابَ الذُّبابِ التي تدورُ حولَه وتطنّ أهازيجُها في أذنيه، أمَّا العالمُ فما كاد يستقرَّ به المقامُ حتَّى أمر أن يؤتى له بشيءٍ من الأفيون فتجرَّعه، وبعدَ أن أخذَ ذلكَ المخدِّرُ يفعلُ أفاعيلَه في دماغِه، التفتَ إلى مولاه – وكانَ يراهُ من خلالِ البابِ المفتوحِ – وقالَ لهُ: قل لي أيّها العبدُ التَّعس أتعتقدُ أنَّ اللهَ موجودٌ أم ترى أنَّه غيرُ موجودٍ؟ فأجابَه العبدُ بقولِه: إنَّه لا شكَّ موجود. ثمَّ انثنى إلى منطقتِه فأخرجَ منها صنمًا من خشبٍ وقال: هذا هو الإله الذي يحرسُني منذ وُلِدتُ، وليسَ في بلادِنا من لا يعبدُ الشَّجرةَ المقدَّسةَ التي من خشبِها عُمِلَ هذا الإلهُ، وكانت هذه المحاورةُ بينَ اللاهوتيّ ومولاهُ قد استرعت انتباهَ ضيوفِ النَّادي الآخرين، وقد أدهشهم سؤالُ العالمِ وزادَهم جوابُ مولاه اندهاشًا، فانبرى أحدُ الحاضرينَ وكانَ برهميًّا وقالَ للعبدِ بعدَ كلمتِه التي فاهَ بها: أيمكنُ أن تصدِّقَ أيّها البائسُ الأحمقُ أنَّ اللهَ

يحملُ في منطقة رجل؟ إنَّه ليس هناك إلَّا إله واحدٌ هو برهما، وهو أكبرُ من العالمِ بأسرِه؛ لأنَّه خالقُه وموجدُه.

إنَّ برهما هو الإله الأحد القديرُ الذي بُنِيَت باسمِه العظيمِ المعابدُ على ضفافِ نهرِ الكنغ حيثُ يعبدُه الكهنةُ البرهميّونَ الَّذين يعرفونَ دونَ سواهم الإلهَ الحقّ، ولقد تصرّمت عشراتُ الألوفِ من السّنين وتوالتِ الحوادثُ وتتابعت الانقلاباتُ، وهؤلاءِ الكهنةُ محتفظونَ بنفوذِهم وسلطانِهم؛ لأنَّ برهما الإله الأحد الحقّ كلأهم وحماهم. قال البرهميّ هذا وهو يظنُّ أنَّ فيهِ إقناعًا لكلّ أحد، إلَّا أنَّ سمسارًا يهوديًّا من الحضورِ تصدَّى للرّدِّ عليهِ فقال: كلَّا، كلَّا، إنَّ معبدَ الإلهِ الحقّ ليسَ هو في الهندِ، وما كانَ اللهُ ليحميَ طائفةَ البراهمة. إنَّ الإلهَ الحقَّ ليسَ هو إله البراهمة، بل هو ربّ إبراهيم وإسحق ويعقوب، وهو لا يحمي سوى شعبِه المختارِ شعب إسرائيل، إنَّ شعبَنا وحدَه هو المحبوبُ عندَ اللهِ منذ بدءِ الخليقةِ، وإذا كنَّا اليومَ مشتَّتين في أنحاءِ الأرضِ فما ذلكَ إلَّا لأنَّ اللهَ يريدُ أن يبلوَنا ويجربَنا، وقد وعدَ سبحانه أن يجمعَ شملَ شعبِه في يومٍ من الأيّامِ، ويؤلّف شتاتهم في أورشليم، فيعود حينذاك إلى إسرائيل سابق مجده، ويصبح مسيطرًا على كلِّ الأممِ والشُّعوبِ، ويرجع إلى

بيتِ المقدسِ عزَّه السَّالف، ذلك البيتُ الذي كانَ أعجوبةَ الزَّمن القديمِ. ثمَّ انخرطَ اليهوديُّ في البكاءِ وأرادَ بعدَ برهةٍ أن يقولَ أكثرَ من هذا فقاطعَه مبشِّرٌ إيطاليّ كانَ هناكَ، فقالَ: إنَّ كلَّ ما قلتَه بيِّنُ البطلانِ، وإنَّك لتفتري على اللهِ وتنسب له الجورَ والظُّلمَ؛ لأنَّه يستحيلُ أن يحبّ قومَكَ أكثر من حبَه سائرَ الأقوامِ، ولو كانَ حقًّا تفضُّله عليكم ومساعدته لكم قديمًا، فإنَّه قد مضى عليهم ثمانية عشر قرنًا منذ غاضبتموه، وحملتوه على تدمير شعبِكم وتفريقكم بددًا في مناكلِ الأرضِ، فلم يجلب لكم إيمانُكم أدنى راحةٍ أو هناك، ذلك الإيمان الذي طوته يدُ الفناء اللهم إلَّا ما بقي منه مبعثراً هنا وهناك، واعلم يا صاح انَّ اللهَ لا يفضِّلُ قومًا على قومٍ، ولا أمَّةً على أمَّةٍ، بل هو يدعو الجميعَ – من أرادَ منهم النَّجاةَ والفوزَ – للالتجاء إلى أحضانِ كنيسةِ روما الكاثوليكيّةِ التي لا يمكنُ أن يجدَ الخارجونَ عن حدودِها خلاصًا.

وكانَ في نفسِ الحلقةِ قسّيسٌ بروتستانتيّ فلم يكد يطرقُ سمعَه هذا القولُ حتَّى امتقعَ لونُه والتفتَ إلى المبشِّرِ الكاثوليكيِّ وقالَ لهُ: كيفَ تجسرَ يا هذا على أن تقولَ إنَّ الخلاصَ مختصٌّ بمذهبِكم؟ إنَّ

النَّاجينَ هم الذين يعبدونَ اللهَ كما نصَّ الإنجيلُ بروحِ العزمِ والإخلاصِ وكما أمرت كلمةُ المسيحِ.

عندَ ذلكَ التفتَ تركيٌّ من الموظَّفين في جمرك سورات، كان جالسًا يدخِّن بقصبتِه، وقالَ بروحِ الأنفةِ والتَّرفُّعِ لكلٍّ من المسيحيِّينَ: إنَّ إيمانَكما بدينكما باطلٌ لأنَّ الدّين المسيحيّ قد نُسِخَ منذ أحد عشرَ قرنًا بالدّين الصَّحيحِ دينِ محمَّدٍ، إنَّكما تعرفانِ ولا شكَّ أنَّ دينَ محمَّدٍ الحقّ ما زالَ آخذًا في الانتشارِ في كلتا القارَّتين أوروبا وآسيا وفي بلادِ الصِّين المتأخِّرةِ المظلمةِ وقد قلتما منذ قليلٍ إنَّ اللهَ نبذَ اليهودَ وأطرحهم واستشهدتُما على بطلانِ ديانتِهم بعدمِ انتشارِها وقلَّةِ أتباعِها، فاعترفا إذن بصحَّةِ الدّين المحمديّ لأنَّه مظفر منصور ولأنَّه منتشرٌ انتشارًا واسعًا كبيرًا. إنَّه سوف لا ينجو أحدٌ سوى تابعي محمَّدٍ خاتمِ الأنبياءِ وسينجو ممَّن يتّبعونه أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ فقط، أمَّا الشِّيعةُ فلا لأنَّ إيمانَهم باطلٌ، وهنا أرادَ اللَّاهوتيّ الفارسيّ أن يردَّ على هذا القولِ لأنَّه كان شيعيًا، لولا أنِ ارتفعَ ضجيجُ الحاضرينَ واتَّسعت دائرةُ منازعتِهم وجدالِهم، فقد كانوا كما قدمنا مختلفي العقائدِ متباييني الأديان، ففيهم من ذكرنا مسيحيون من الحبشةِ، ولاميّون من تيبت، وإسماعيليّونَ وعبّاد نار وكانوا كلُّهم

يتناقشون في حقيقةِ الإلهِ الحقِّ وكيفَ يجبُ أن يُعبَدَ، وقد اشتدَّ بينهم الجدالُ وحمي الوطيسُ، وكانَ كلُّ واحدٍ منهم يؤكِّدُ أنَّ الإلهَ الحقَّ لم يُعرَفْ ولم يُعبَد كما يجبُ في غيرِ بلادِه ومسقطِ رأسِه، ولم يكن فيهم من لزمَ السّكينةَ وآثرَ الصَّمتَ غيرُ رجلٍ صينيَ من أتباعِ كونفوشيوس، كان جالسًا جلسةً هادئةً في زاويةٍ من زوايا النَّادي، يحتسي كؤوسَ الشَّاي وهو مصغٍ لما يقولُه الآخرونَ، ورآهُ التَّركيُّ صامتًا فقال له إنَّك تستطيعُ أن تثبتَ ما قلته أيّها الصّينيّ الصَّالحُ، إنَّكَ تحافظُ على هدوئِكَ وسكينتِكَ ولكنَّني أعلمُ أنَّك ستؤيِّد رأيي إذا هجرتَ الصَّمتَ وطلَّقتَه.

إنَّ تجارًا من مواطنيكَ – أتَوْا يلتمسونَ مني العونَ والمساعدةَ – أخبروني أنَّه دخل الصِّينَ أديانٌ كثيرةٌ إلَّا أنَّكم معاشرَ الصّينيّين تعدُّونَ دينَ محمَّدٍ خيرها جميعًا، وتُقبِلُون على اعتناقِه بسرورٍ؛ فتفضَّل إذن وأيِّد قولي، واكشف لنا النِّقابَ عن اعتقادِكَ في الإلهِ الحقِّ وفي نبيِه ورسولِه. فقالَ جميعُ من حضر: نعم، نعم، ثمَّ التفُّوا حولَ الرّجلِ الصِّينيَ وأحاطوا بهِ، وقالوا: دعنا نسمع رأيك في هذا، وعند ذلكَ أطبقَ الرّجلُ الصِّينيّ عينيهِ وفكَّر برهةً، ثمَّ فتحَهما ثانيةً وأخرجَ يديهِ من كمَّيْهِ الواسعَيْنِ ووضعَهما على صدرِه وقالَ بصوتٍ

هادئِ رزينِ: سادتي، يُخَيّلُ إليّ أنَّ الكبرياءَ خاصَّة هي التي تقيمُ الحواجزَ والسّدودَ في سبيلِ الاتِّفاقِ على مسائلِ الإيمانِ، وإذا تفضَّلتُم وأصغيتم لما أقولُ فسأقصَّ عليكم حكايةً تشرحُ مسألةَ الاختلافِ في معرفةِ الإلهِ الحقِّ، وتحتوي على مثالٍ صادقٍ له.

لقد جئت هذه البلدة من الصّين على ظهر سفينة إنجليزيّة طافت العالم وقد اتّفق في أثناء السّفر أن فرغ الماء منا فاضطررنا للإرساء في سواحل سومطرا الشّرقيّة لنتزوّد الماء منّا فاغتنم نفر منا مختلفو الأجناس – وكنت في جملتهم – هذه الفرصة ونزلوا على اليابسة، وكان الوقت نصف النهار، ورأينا على الشّاطئ صفًّا من أشجار جوز الهند على مقربة من إحدى قرى الجزيرة، فأغرانا الظِّلُّ وبردُ النّسيمِ على إتيانه، ولم يكدْ يستقرّ بنا المقامُ هناكَ حتّى أبصرْنا رجلًا أعمى يقتربُ منّا، وقد علمنا بعدَ ذلكَ أنَّ ذلكَ الرّجُلَ فقدَ باصرتيه من تحديقِه بالشَّمسِ وهو يحاولُ أن يعرفَ ما هي لأجلِ أن يقبضَ على نورِها، فلمّا وقعَ ذلكَ لهُ قالَ لنفسِه: إنَّ نورَ الشَّمسِ ليسَ سائلًا؛ لأنَّه لو كانَ كذلكَ لأمكنَ تحويلُه من إناءٍ إلى آخرَ، ولوجب أن يحرّكه الهواءُ كما يحرّك الماء، وليس هو نارًا لأنَّه لو كان كذلكَ لوجب أن يطفئه الماءُ، وليس هو روحًا لأنَّه يُرى بالعينِ ولا مادَّة

لأنَّه لا يمكنُ نقلُه وتحريكُه، وما دامَ نورُ الشَّمسِ غير سائلٍ ولا نار ولا روح ولا مادَّة فهو لا شيء. هذه كانت قياسُه، فلم يكفِه فقدُ بصرِه بل أتبعَه بعقلِه وإدراكِه، وكانَ معَ ذلكَ الرَّجلِ الأعمى عندما رأيناهُ يقتربُ منا عبدٌ يقودُه فلمَّا وصلَ به إلى الظِّلِّ أجلسَه في مكانٍ ثمَّ التقطَ جوزةً كانت ملقاةً على الأرضِ، وشرع في عملِ سراجٍ منها؛ فلفَّ أليافَها وجعلها فتيلةً، ثمَّ استخرجَ لُبّها وعصرَ منه زيتًا في جلدتِها وأخذَ الفتيلة فغمسها فيهِ، وبينما كانَ العبدُ عاكفًا على عملِه تنهَّد الأعمى وقالَ له: أكنت على ضلالٍ عندما أخبرتكَ أنَّه لا توجَدُ شمسٌ؟ ألا ترى ما أشدَّ الظَّلام! إنَّ النَّاس ما زالوا يقولونَ إنَّ هناك شمسًا موجودةً، فإذا كانَ حقًّا يقولونَ، فليقولوا لي ما هي تلكَ الشّمسُ؟ فقال له عبدُه: أنا لا أعرفُ الشَّمسَ ولا يعنيني أن أعرفَها، ولكنّي أعلمُ ما هو النّورُ، ولقد صنعتُ لنفسي سراجًا أستطيعُ بوساطتِه أن أخدمَكَ، وأن أجدَه ما أريدُه في كوخنا ثمَّ رفعَ العبدُ قشرةَ الجوزةِ قائلًا: هذه شمسي. فضحكَ لهذا القولِ رجلٌ أعرضُ له عكَّازانِ كان جالسًا غير بعيدٍ، وقال للأعمى: إنَّكَ على ما يظهرَ قد قطعتَ مراحلَ حياتِكَ كلَّها وأنتَ محرومٌ من نعمةِ النَّظرِ فلم تعرف ما هي الشَّمسُ. إنّي سأخبرُك ما هي، إنَّها كرةٌ من نارٍ

تطلعُ كلّ صباحٍ من جوفِ البحرِ وتغيبُ بينَ جبالِ جزيرتِنا في كلّ مساء، وكلُّنا نشاهدُ ذلكَ ونراهُ، ولو كنتَ بصيراً لرأيتَه أيضًا. وكان هناك صيّادُ سمكٍ يستمعُ لتلكَ المحاورةِ فقال للأعرجِ: يخيّل إليّ أنَّك لم تخرج من هذه الجزيرةِ قط، ولم تتجاوز حدودها، فلو كنت غير أعرجٍ، ولو كنت خرجت إلى ما وراء الجزيرةِ كما أخرجُ أنا في قاربِ الصَّيدِ لرأيتَ أنَّ الشمسَ لا تغربُ بينَ جبالِ جزيرتِنا، ولكنَّها تطلعُ من المحيطِ في كلّ صباحٍ، وتغربُ في البحرِ كلّ مساءٍ. إنَّ ما أقولُه لكَ حقّ لا مرية فيه؛ لأنَّني أراهُ كلّ يوم بعينيّ هاتين. فقاطعَه حينذاك هنديٌّ من جماعتِنا قائلًا: إنَّه ليدهشُني أن يقولَ رجلٌ عاقلٌ مثلك نظير هذه التُّرّهاتِ، قل لي بربِّكَ كيف يمكنُ أن تنزلَ كرةٌ من النَّارِ في الماءِ ولا تنطفئ؟

إنَّ الشَّمسَ ليست كرةً من نارٍ، بل هي الإله "ديفا" الذي يركبُ أبدَ الدّهرِ مركبةً تدورُ حولَ الجبل الذّهبيّ (مرو) وقد يحدثُ في بعضِ الأحايينِ أنَّ الثعبانين الشّريرَيْنِ (مراغو) و(كتو) يهاجمان (ديفا) ويبتلعانها فتظلم الأرض، ولكنَّ كهنتنا يصلّون لأجل تخليص الإله وإطلاقه فيخلص. إنَّ الجهّال الذين هم على شاكلتك فقط هم الذي يتصوّرونَ مثل تصوَّراتِك. وجاء الدَّورُ لرئيسِ مركبٍ مصريٍّ كان

حاضرًا، فقال: لا، إنَّك أنتَ مخطئ أيضًا، فإنَّ الشّمسَ ليست إلهًا، ولا تدورُ حولَ الهندِ فقط، وحول جبلها الذّهبيّ، إنَّني طالما ركبتُ متنَ البحارِ في سالفِ أيَّامي، فقد امتطيتُ غاربَ البحرِ الأسودِ، وطفتُ سواحلَ جزيرةِ العربِ، وأتيتُ مدغشقر والفيليبين، فرأيتُ الشّمس تضيء الأرض كلّها إلا الهند وحدها، وشاهدتها لا تدورُ حول جبلِ بل تطلعُ من أقصى الشّرقِ وراء جزائرِ اليابانِ وتغربُ في أقصى الغربِ وراء الجزرِ البريطانيّةِ، وهذا هو السَّببُ الذي جعلَ اليابانيّين يسمّون بلادهم (نيبون) أي مطلع الشّمس، إنَّني أعرفُ هذا حقَّ المعرفةِ؛ لأنَّني رأيتُ في حياتي كثيرًا وسمعت أكثر مِنْ جدّي الذي اختبرَ البحرَ ووصلَ إلى أقصى تخومه. وكانَ المصريّ يودَّ أن يستمرَ في كلامِه لولا أنَّ بحَّارًا إنجليزيًّا من طائفةِ السّفينةِ قاطعَه فقالَ: إنَّه لا توجَدُ بلادٌ يعرف أهلها الشّيء الكثير عن الشّمس وحركاتها كإنجلترا. إنَّ الشَّمسَ – كما يعلمُ كلُّ واحدٍ في بلادِنا – لا تطلعُ من مكانٍ ولا تغربُ من مكانٍ، بل هي تدورُ دائمًا حولَ الأرضِ، وليس ثمَّة مكان لا يزورُه نورُها، ونحنُ على ثقةٍ من هذا لأنَّها طفنا العالمَ فكنَّا حيثُما توجّهنا نرى الشَّمس تبرز للأنظارِ في النّهارِ وتلوذُ بجانبِ الاستخفاءِ في اللَّيلِ كما هي الحالُ هنا. ثمَّ أخذَ

ذلكَ البحّارُ الإنجليزيّ عصًا وشرع يخطُّ على الرّملِ دوائرَ وأشكالًا محاولًا أن يصوِّرَ حركاتِ الشَّمسِ في السَّماواتِ ودورانها حول العالمِ، إلَّا أنَّه كان عاجزًا عن توضيحِ ذلكَ فأشارَ إلى دليلِ السَّفينةِ، وقال: إنَّ هذا الرّجلَ هو أكثر مني علمًا بالأمرِ، وهو يستطيعُ أن يكشفَ لكمُ النِّقابَ عن حقيقتِه، وكانَ الدَّليلُ ألمعيّا متوقِّدَ الذّهنِ إلَّا أنَّه لاذَ بأذيالِ الصَّمتِ منذ البدايةِ، وأصغى إلى كلّ ما قيلَ فلم ينبس ببنت شفة، حتَّى دُعِيَ للقولِ فقالَ والكلُّ مصغٍ إليه: إنَّكم جميعًا تغشّون أنفسكم ويخدع بعضكم بعضًا، إنَّ الشَّمس لا تدور حولَ الأرضِ، ولكنَّ الأرضَ هي التي تدورُ حولَ الشَّمسِ، وهي في أثناءِ دورانِها هذا تدورُ حولَ نفسِها مرَّةً في كلّ أربع وعشرين ساعةً، وفي تلك المدَّةِ لا تُرى الشَّمسُ من بلادِ اليابانِ والفلبّين وسومطرا فقط حين نحن الآن، بل تُرى أيضًا في أفريقيا وأوروبا وأمريكا وكثير من البلاد الأخرى. إنَّ الشَّمسَ لا تشرقُ على بعضِ الجبالِ أو على بعضِ الجزرِ أو على بعضِ البحورِ، حتَّى ولا على أرضٍ واحدةٍ فقط، بل هي تشرقُ على السيّاراتِ الأخرى كما تشرقُ على أرضِنا، ولو أنَّكم نظرتُم إلى السَّماواتِ فوقكم عوضًا عن أن تنظروا إلى الأرضِ التي تحتَ أرجلِكم لاستطعتم أن تعرفوا ذلكَ كلّه، ولمَّا تماديتم في

الاعتقادِ بأنَّ الشّمسَ تشرقُ عليكم فقط أو على بلادكم وحدها، هذا ما قالَه ذلك الدَّليلُ العاقلُ الذي ضرب في أنحاءِ الأرضِ وأكثرَ من رصدِ السّماواتِ العلى.

ولمَّا بلغَ الصّينيّ تلميذُ كونفوشيوس هذا الحدّ قال: وهكذا مسائلُ الاعتقادِ والإيمان. إنَّ الكبرياءَ والعنادَ هما سببُ الاختلافِ بينَ النَّاسِ، وإنَّ ما حصلَ من اختلافِ أولئكَ القومِ الذين قَصَصْنَا قصَّتَهم في فَهمِ حقيقةِ الشَّمسِ هو خيرُ مثالٍ لما وقعَ من الاختلافِ بينَ النَّاسِ في معرفةِ الإلهِ الحقّ. إنَّ كلَّ واحدٍ في الأرضِ يريدُ أن يكونَ له إلهٌ خاصٌّ به، أو على الأقلّ خاصّ بوطنِه وقومِه، وكلّ أمَّةٍ تريدُ أن تحصرَ المعبودَ الحقَّ في معابدها، وهو الذي لا تسعُه السّماواتُ والأرضُ، قولوا لي بربِّكم أيستطيعُ معبدٌ من المعابدِ أن يضاهيَ ذلكَ المعبدَ العظيمَ الذي شادَه اللهُ ليوحِّدَ النَّاسَ كلّهم ويجمعهم على عقيدةٍ واحدةٍ ودينٍ واحد؟

إنَّ كلَّ المعابدِ البشريَّةِ شُيِّدَت على مثالِ هذا المعبدِ الذي هو دنيا الله. إنَّ لكلّ معبدٍ حوضَ معموديَّتِه وسقفَه المعقود، ومصابيحَه، وصورَه، أو دماه ونقوشَه وكتبَ تشريعِه وذبائحَه ومذابحَه

ورهبانَه، ولكن في أيّ معبد من المعابد يوجد حوض للمعموديّة يشبه البحرَ المحيطَ؟ وسقف معقود كالسّماواتِ ومصابيح كالشّمسِ والقمرِ والنَّجومِ؟ وأيّ رسومٍ تماثلُ الأحياءَ الطَّافحة قلوبهم بالحبّ الذين يعون بعضهم بعضًا؟

وأينَ البركاتُ الكنسيّةُ من تلك العطايا الإلهيّةِ السّهلةِ الفهم التي يمنحُها اللهُ لسعادةِ الإنسانِ؟ وأينَ يوجدُ قانونٌ ناصعٌ جليّ يفهمُه كلُّ إنسانٍ مثل ذلك القانون المنقوش في قلوبِ البشرِ وضمائرِهم؟ وأيّ ضحيّةٍ تساوي إنكارَ الذّاتِ الذي يفعلُه الرّجال المحبّونَ والنّساءَ المحبّاتُ كال منهما للآخر؟ وأيّ مذبح يساوي قلبَ الرّجلِ الصّالحِ الذي يقبل الله الضحيّة عليه؟

إنَّ قربى المرء من اللهِ تكونُ بقدرِ سموِّ اعتقادِه به تعالى، فكلَّما سما اعتقادُ المرءِ باللهِ كلَّما كانَ أقربَ منه وأدنى لتقليدِ كماله جلَّ شأنُه والتّأسّي برحمته ومحبّته للإنسانِ؛ لهذا يجبُ أنْ يمتنعَ ذلكَ الذي يرى نورَ الشّمسِ بأسرِه مالئًا أرجاءَ الكونِ عن أن يلومَ ويحتقرَ في الرّجلِ الخرافيّ الذي يرى في صنمه شعاعًا من ذلكَ النُّورِ نفسه، بل وأن يمتنعَ أيضًا حتّى عن أن يلومَ أو يحتقرَ الملحدَ الذي هو أعمى لا يبصرُ شعاعَ الشّمسِ مطلقًا.

وعندما أتمّ الصّينيّ تلميذُ كونفوشيوس مقالَه شمل السّكوتُ كلَّ من في النَّادي، وكانَ ذلكَ آخر العهدِ بينهم وبين المجادلةِ والمناقشةِ في المفاضلةِ بين أديانهم وعقائدهم.

القاهرة: ذو الحجّة سنة ١٣٣٧، سبتمبر (أيلول) سنة ١٩١٩.

ما أغلاه!

Too Dear

من وضعِ الكاتبِ الفرنسيّ "غي دو موباسان" عن الإنجليزيّة

على سواحلِ البحرِ الأبيضِ المتوسِّطِ، بينَ حدودِ الجمهوريَّةِ الفرنسيّةِ والمملكةِ الإيتاليّةِ[١٠]، توجد مملكةٌ صُغرى يُقال لها "موناكو"، لا تستطيع أن تفاخرَ أصغر المدن بعدد سكَّانها؛ لأنَّها لا تحوي غير سبعة آلافِ نفسٍ، لا يصيبُ أحدُهم فدَّانًا واحدًا من الأرضِ لو قُسِّمَت عليهم كلُّ أراضي المملكةِ، ويحكمُ هذه المملكةَ الصغرى ملكٌ مستقلٌّ يُتَوّجُ كما يُتَوّجُ الملوكُ، وله قصرٌ وبلاطٌ وحاشيةٌ ووزراء، وأسقف وقوّادُه وله احتفالاتٌ رسميّةٌ وأيَّامٌ يستعرضُ فيها

---

[١٠] هكذا هي في الأصل، ويعني المملكة الإيطاليَّة التي تأسَّست عام ١٨٦١ بعد إعلان الملك فيكتور إيمانويل الثاني ملك سردينيا ملكًا لإيطاليا، وبقيت ملكيَّة حتَّى عام ١٩٤٦ حين أدى السخط المدنيّ إلى استفتاء مؤسسي للتخلي عن النظام الملكي وتشكيل الجمهورية الإيطالية الحديثة.

الجندُ، وله مجالسُ ومحاكمُ، وقوانينُ ونظاماتٌ، وجيشٌ يبلغُ عددُه ستّين رجلًا.

أمَّا الموارِدُ التي يستمدُّ منها الملكُ نفقاتِه ورواتبَ رجالِ بلاطِه وموظَّفي حكومته فهي منحصرةٌ في ضرائبَ مفروضةٍ على التّبغِ والمشروباتِ الرّوحيّةِ، ومعَ أنَّ سكَّانَ المملكةِ يتعاطونَ المسكراتِ ويدخِّنونَ كما يفعلُ غيرُهم من سكَّانِ الممالكِ الأخرى فإنَّ دخلَ تلكَ الضَّرائبِ لم يكن كافيًا للقيامِ بنفقاتِ الملكِ وحاشيتِه وموظَّفيه؛ لهذا كان جلالتُه مضطرًا إلى أن يجدَ له موردًا جديدًا يدفعُ عنهُ العوزَ والاحتياجَ، وكان ذلك المَوردُ هو بيت قمارٍ يلعبُ فيهِ (الرّوليت) أباحَ الملكُ افتتاحَه في بلادِه والمقامرةَ فيهِ ليتمكَّنَ من الاحتفاظِ بأبهتِه بوساطةِ ما يعودُ لعيهِ من الرَبحِ منهُ، ولمَّا كانَ هذا البيتُ هو المحلّ الوحيد الذي بقي مفتوحَ الأبوابِ في أوروبا كلِّها فقد غدا قِبلَة كلّ المغرمين بالقمارِ والكعبة التي يحجَّون إليها. وقد كانَ بعضُ أصاغرِ ملوكِ الألمانِ قد أباحوا افتتاحَ بيوتٍ من هذا النَّوعِ في بلادِهم، فكانت سببًا في جرٍّ بلاءٍ كبيرٍ على النَّاسِ والإنسانيّةِ، ورأى الألمانيّونَ أنَّه كثيرًا ما يطرقُ الرّجلُ هذه البيوتَ ليمتحنَ حظَّه ويقامرَ بأموالِ غيرِه فيفقدَها أيضًا فيعتريه قنوطٌ

شديدٌ ويدبّ في نفسِه اليأسُ فيسارع إلى الانتحارِ، فمنعوا ملوكَهم من اكتسابِ المالِ بهذه الطَّريقةِ الممقوتةِ.

أمَّا ملكُ موناكو فلم يكن ثمَّة من يمنعُه من الاستمرارِ في إباحةِ المقامرةِ في بلادِه، بقي سائرًا في سبيلِه حتَّى اليوم من غير أن يلقى ممانعةً أو معارضةً، وكان جلاله لا يتناولُ الضَّريبةَ من المقامرين مباشرةً، بل يأخذُها من مدبرِ المحلِّ، وذلك أنَّ المديرَ يتقاضى ضريبةً باهظةً في كلّ دورٍ يلعبونه سواء أخسروا أم كانوا من الرّابحين، وهو يدفعُ من تلكَ الضَّريبةِ جزءًا كبيرًا للملكِ.

يقولُ المثلُ القديمُ "الأمانةُ لا تبني قصورًا شامخةً" وإنَّ ملكَ موناكو ليعلم حقَّ العلمِ أنَّ هذا المواردَ الذي يستقي منه رزقَه ملوَّثٌ دَنِسٌ، إلَّا أنَّه مضطرٌ والمضطرُ معذورٌ، إنَّه يريدُ أن يعيشَ فلا حرجَ عليهِ إذا استقى من ذلكَ المواردِ المشبوهِ، لاسيّما وأنَّ الأموالَ الأخرى التي يجنيها من ضرائبِ التّبغِ والخمورِ ليست أصفى من أموالِ القمارِ ولا أطهر، إنَّه يريدُ أن يعيشَ وأن يحكمَ ويهبَ الجوائزَ والأعطياتِ ويصدرَ الأحكامَ ويقيمَ المهرجاناتِ والاحتفالاتِ ولا يتسنَّى له ذلكَ إلَّا بتناولِ الأموالِ من أيِّ طريقٍ جاءت.

وقد اتَّفقَ منذُ بضعِ سنينَ مضت أن وقعت جنايةُ قتلٍ في تلك المملكةِ الصَّغرى، ولم يكن قد سبقَ لها نظيرٌ قطٌّ في تلك البلادِ التي اعتادَ أهلُها السَّكينةَ والسَّلامَ، فاهتزَّت جوانبُ المملكةِ لتلكَ الحادثةِ، واجتمع لها القضاةُ اجتماعًا رسميًا ثمّ بدأوا في النَّظرِ فيها، وكان فيهم نُوّابٌ عموميّونَ ومحلّفونَ ومحامون، فتناقشوا في القضيّةِ بعدَ درسِها، وحكموا أخيرًا بأن يُقطَعَ رأسُ القاتلِ كما يقضي القانونُ ثمَّ رُفِعَ الحكمُ للملكِ فقرأه وذيَّلَه بهذه الجملةِ "إذا كان المجرمُ يجبُ أن يُقتَلَ فليَقتَل".

غير أنَّ عقبةً كؤودًا كانت تقفُ في سبيلِ تنفيذِ هذا الحكمِ، انتبهَ لها الوزراءُ فيما بعدُ، وهي عدمُ وجودِ مقصلةٍ للإعدامِ أو جلَّادٍ في المملكةِ، وبعدَ المداولةِ والمذاكرةِ قرَّروا أن يكتبوا لحكومةِ فرنسا يسألونَها عمَّا يكلِّفُه جلبُ مقصلةٍ ومأمورٍ من فرنسا إلى موناكو، وبعدَ أسبوعٍ جاءَهم الجوابُ، وفيهِ أنَّ إرسالَ الآلةِ ومأمورِها يكلِّف ستَّة عشر ألف فرنك، وعُرِضَ الجوابُ على الملكِ فدُهِشَ منهُ وقال: ما هذا؟ ستَّة عشر ألف فرنك! إنَّ الشقيّ لا يساوي هذا المبلغَ، ألا توجَدُ طريقةٌ أرخصُ من هذه؟ إنَّ المبلغَ المطلوبَ لو وُزِّعَ على

سكَّانِ المملكةِ لأصابَ الواحدَ منهم أكثرَ من فرنكين، وذلك لا يرضي الأمَّةَ، وسيُحدِثُ بلا شكٍّ شغبًا وهياجًا.

ولم يلبث أن دعا مجلسَ الوزراءِ للاجتماعِ والنَّظرِ في المسألةِ، فقرَّرَ المجلسُ أن يرسلَ كتابًا إلى دولةِ إيطاليا مثل الكتابِ الذي أُرسِلَ لفرنسا قائلًا إنَّ حكومةَ فرنسا جمهوريَّةٌ لا تحترمُ الملوكَ كثيرًا، ولكنَّ ملكَ إيطاليا أخٌ في الملكيَّة لملكِ البلادِ، وهو خليقٌ بأن يرسلَ المطلوبَ بثمن أقلّ وأرخص، فكتبَ الكتاب وأرسلَه، وبعد قليلٍ أتى جوابُه فإذا فيهِ: إنَّ إيطاليا ترسلُ الآلةَ ومديرَها بسرورٍ، غير أنَّ ذلكَ يكلِّفُ من النَّفقاتِ مبلغَ اثني عشر ألف فرنك، وهو مبلغٌ أقلُّ من الأوَّلِ، إلَّا أنَّه معَ ذلكَ لا يزالُ باهظًا بالنِّسبةِ لتلكَ المملكةِ الصَّغرى؛ ولهذا دُعِيَ المجلسُ للالتمامِ مرَّةً أخرى فاجتمعَ أعضاؤه وتداولوا في إيجاد طريقةٍ أرخصَ من هذه، فقالَ بعضُهم: ألا يمكنُ لأحدٍ من الجنودِ أن يقومَ بذلكَ العملِ ولو بطريقةٍ خشنةٍ؟ فارتاحَ لهذه الفكرةِ الحاضرونَ، وعزموا على دعوةِ قائدِ الجندِ إليهم لأخذِ رأيِه في الأمرِ، فلمّا أتى قالوا لهُ: ألا يمكنُ أن تجدَ لنا جنديًّا يقدرُ أن يقطعَ رأسَ إنسانٍ؟ إنَّ الجنودَ لا يبالونَ بقتلِ البشرِ في الحروبِ، وهم يُدَرَّبونَ في الحقيقةِ على القتلِ ويُعَدُّونَ لهُ. فطلبَ القائدُ أن يعرضَ

الأمرَ على جنودِه فيرى من ذا الذي يقدرُ منهم على القيامِ بتلكَ المهمَّةِ، وذهبَ إليهم وفاتحَهم في الأمرِ فلم يرضَ منهم أحدٌ أن يفعلَ تلكَ الفعلةَ، وقالوا جميعًا: لا، إنَّنا لا نعرفُ شيئًا ممّا تدعونا إليهِ، وليسَ ذلك ممَّا تعلَّمناه.

كيف العملُ؟ فكَّرَ الوزراءُ في الأمرِ ثمَّ فكَّروا واجتمعوا مرّاتٍ متعدِّدةً فقرَّروا أخيرًا استبدالَ حكمِ الإعدامِ بالسّجنِ مدى الحياةِ، معتقدين أنَّ هذا أحسنُ حلٍّ لتلكَ المشكلةِ، وأنَّه أرخصُ كلفةً، وأقلُّ نفقةً، فضلًا عن أنَّه يمهِّدُ للملكِ السَّبيلَ لإظهارِ رحمتِه وشفقتِه، ولم يتردَّدِ الملكُ في قَبولِ هذا القرارِ والتَّصديقِ عليهِ، إلَّا أنَّ مشكلةً أخرى ظهرت بعد ذلك، وهي أنَّه لم يكن في المملكةِ سجنٌ يصلحُ للحبسِ مدى الحياةِ، نعم إنَّه يوجدُ هناكَ سجنٌ واحدٌ بسيطٌ كان يُحبَسُ فيه أحيانًا بعضُ النَّاسِ حبسًا مؤقتًا، ولكنَّه لم يكن صالحًا للحبسِ الدَّائمِ، وبعدَ جهدٍ وتعبٍ توفَّقوا لإيجادِ محلٍّ مناسبٍ وضعوا فيه المجرمَ الشَّابّ، وعيّنوا له حارسًا ليحرسَه؛ وليحضرَ لهُ الطَّعامَ من مطبخِ القصرِ.

ومرّ على ذلكَ عامٌ كاملٌ، وجاءَ اليومُ الذي يعرض فيه حسابُ نفقاتِ القصرِ على الملكِ، فلمَّا عُرِضَ عليهِ رأى فيهِ نفقاتٍ جديدةً – هي نفقات المحافظةِ على السَّجينِ وإطعامه – وكانت تربو على ستمائة فرنك. وكان أنكى ما في المسألةِ أنَّ السّجينَ لا يزالُ شابًّا متمتِّعًا بصحَّةٍ جيِّدةٍ تدلُّ على أنَّه سيعيشُ خمسينَ عامًا أخرى، وهو أمرٌ خطيرٌ للغايةِ؛ ولهذا دعا الملكُ وزراءَه وقالَ لهُم: يجبُ أن تجدوا طريقةً أرخصَ من هذه لنعاملَ بها هذا الخبيثَ، إنَّ في الطَّريقةِ الحاضرةِ غبنًا كبيرًا وإسرافًا أكبرَ، فأوجدوا لنا مخلِّصًا منها. فعقد الوزراءُ جلسةً خاصَّةً ونظروا في المرِ وفكَّروا فيهِ ثمَّ فكَّروا إلى أن قالَ أحدُهم إنَّني أرى أيُّها السّادةُ أن نعزلَ الحارسَ ونستغنيَ عنهُ، فاعترضَ بعضُ الوزراءِ قائلًا: ولكنَّ السَّجينَ سيفرُّ حينذاك، فأجابَه صاحبَه: حسن جدًّا؛ ليفرّ إلى حيثُ ألقت فنستريح منه، وتمّ الاتفاقُ على هذا الرأي وعُرِضَ على الملكِ فأقرَّه.

وفي اليومِ الثَّاني نُحِّيَ الفارسُ عن عملِه، وانتظرَ القوم ليروا ماذا يحدث، إلَّا أنَّ آمالَهم في هربِ السّجينِ لم تتحقَّق، فإنَّه بقيَ في سجنِه إلى أن جاءَ وقتُ الغداءِ، فلمَّا تأخَّرَ مجيءُ الطَّعامِ عن عادتِه فتحَ بابَ السِّجنِ لينظرَ الحارسَ فلم يجده، فذهب بنفسِه إلى

مطبخِ الملكِ وأخذَ منهُ طعامًا ثمَّ عادَ إلى سجنِه وأغلقَ البابَ عليهِ، وفي اليومِ الثَّاني فعلَ ذلك الفعلَ أيضًا، واستمرّ الحالُ على هذا المنوالِ ولم تبدر من السَّجينِ إشارةٌ تدلُّ على عزمِه على الفرارِ! فكيفَ العملُ؟ وكيفَ الخلاصُ من هذه الحالِ؟ اجتمعَ الوزراءَ لينظروا في الأمرِ، فقالوا: سنقولُ له يلزمُ أن تغادرَ السِّجنَ إلى حيثُ شئتَ؛ لأنَّنا لا نريدُ أن تبقى فيهِ وبعدَ قليلٍ أرسلَ وزيرَ العدليّةِ فأحضره بين يديهِ وقالَ لهُ: لِمَ لا تهربُ يا هذا؟ إنَّه لا حارسَ يحرسُكَ الآنَ، فتستطيع أن تذهبَ إلى حيثُ شئتَ من غيرِ أن يؤاخذَكَ الملكُ، فأجابَ الرّجلُ: إنَّني أعرفُ أنَّ الملكَ لا يؤاخذُني إن فررتُ، ولكنّي لا أجدُ مكانًا أهربُ إليهِ، ولا أعتقدُ أنَّني أستطيعُ أن أعملَ عملًا. إنَّكم شوَّهتم سمعتي وأفسدتم أخلاقي بحكمِكم المعلومِ وجعلتم النَّاسَ يُوَلُّوني ظهورهم حيثما حللت، وفوق هذا كلِّه فقد عطَّلتم أشغالي وعاملتموني معاملةً سيئةً، ولم يكن ذلك لائقًا صدوره منكم. لقد حكمتم عليّ بالموتِ في أوَّلِ الأمرِ، وكانَ يجبُ أن تعدموني ولكنَّكم لم تفعلوا، فلم أشكُ من ذلكَ ثمَّ بعدَ ذلكَ حكمتم عليَّ بالحبسِ مدى الحياةِ وعيّنتم لي حارسًا ليحضرَ لي الطَّعامَ، ولكنَّكم بعد زمنٍ طردتموه وأجبرتموني على أن أنقلَ طعامي بنفسي،

فلم أشكُ من ذلكَ أيضًا، وها أنتم أولاءِ تريدونَ مني أن أهربَ، وهو أمرٌ لا أرضاهُ ولا أقبلُ بهِ، فاعملوا ما أردتم فإنَّني لن أهربَ أبدًا.

انعقدَ المجلسُ لينظرَ في الطَّريقةِ التي يجبُ اتِّباعُها بعدَ ذلكَ، فرأى أنَّ خيرَ الطُّرقِ للاستراحةِ من هذا الثَّقيلِ هي أن يعيِّنَ لهُ راتبًا سنويًّا على شريطةِ أن يرحلَ من أرضِ المملكةِ ولا يسكنها، وعرضوا الأمرَ على الملكِ قائلينَ له: إنَّه لا يوجَدُ حلٌّ آخرُ لهذه المعضلةِ، يجبُ أن نتخلَّصَ منه على أيَّةِ حالٍ، فوافقَ جلالتُه على إعطاءِ الرَّجُلِ ستمائة فرنك في كلِّ سنة، على شريطة ألَّا يسكنَ في أراضي الملكِ.

هكذا انتهى الأمرَ، فاستلمَ الرّجلُ ثلثَ مرتَّبِه السّنويّ مقدّمًا، وغادرَ تلكَ البلادَ إلى مكانٍ لا يبعدُ عن الحدودِ ربعَ ساعةٍ في القطارِ، فابتاعَ لهُ قطعةً من الأرضِ جعلَها بستانًا، فهو يعيشُ فيهِ الآنَ برخاءٍ، وتراهُ يذهبُ في أوقاتٍ معيّنةٍ لقبضِ راتبِه، وبعد أن يأخذَه يمرّ ببيتِ القمارِ فيلعبُ بفرنكين أو ثلاثة فإمّا أن يخسرَها أو يربحَ مثلها، ثمّ يعودُ إلى مسكنِه حيث يعيشُ بسلامٍ واطمئنانٍ.

وقد كانَ من حسنِ حظِّه أنَّه لم يرتكب جريمتَه في بلادٍ لا يبالي أهلُها بما يكلفه قطعُ رؤوسِ الرِّجالِ وإعدامهم، أو بما يلزم لسجنهم مدى العمر من النّفقات.

دمشق، محرم، سنة ١٣٣٩هـ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٠.

العملُ والموتُ والمرضُ

أسطورة

من وضعِ الفيلسوفِ الرّوسيِّ تولستوي

مترجمة عن الإنجليزيّة

من جملةِ الأساطيرِ الشَّائعةِ بين هنودِ أمريكا الجنوبيّةِ أنَّ الرّبَّ خلقَ البشرَ في بَدءِ الأمرِ وأراحَهم من عناءِ العملِ فلم يكونوا يشعرونَ بحاجةٍ إلى مساكنَ ولا إلى ملابسَ ولا إلى طعامٍ، وبقوا كذلكَ زمنًا طويلًا حتَّى بلغَ عدُدهم مائة، ولم يكونوا يعرفونَ ما هي العللُ والأمراضُ.

وبعدَ أن أرادَ الرّبّ أن يرى كيفَ يعيشُ خلقُه، فلمّا اطَّلعَ على حالِهم رآهم يقاتلُ بعضُهم بعضًا ولا يهتمُّ أحدُهم إلَّا بأمورِ نفسِه ممَّا يبعدُهم كثيراً عن حياةِ السَّرورِ والعيشِ السَّعيدِ خلافًا لما كانَ ينتظر لهم، فقالَ الرّبَّ لنفسِه: إنَّ هذا البلاءَ أتاهم من التَّفرّقِ

والانقسامِ، ومن اقتصارِ كلِّ واحدٍ منهم على العنايةِ بأمورِهم الخاصَّةِ؛ ولأجلِ أن يغيِّرَ مجرى حياتِهم - التي كانت من غيرِ عملٍ - سلَّطَ عليهم البردَ والجوعَ؛ ليضطروا إلى بناءِ المساكنِ ونحتِ المغاورِ والكهوفِ؛ وليجبروا على جمعِ أقواتِهم بينهم تآلفًا واتِّحادًا، وقالَ في نفسِه: "إنَّ الرَّجُلَ بمفردِه لا يستطيعُ أن يصنعَ كلَّ ما يحتاجُ إليهِ من الآلاتِ والأدواتِ، ولا أن ينقل ما يلزمُ له من الأخشابِ، ولا أن يبنيَ البيوتَ التي تقيهِ فتكَ عناصرِ الطَّبيعةِ، ولا أن يفلحَ الأرضَ ويجمعَ غلّتَها، ويغزلَ وينسجَ ويصنعَ الملابسَ والأثوابَ، فإنَّ هذا كلَّه ممَّا يضطرُه إلى الاستعانةِ بسواه، وبذلك يَتِمَّ لبني البشرِ الاتِّفاقُ والاتِّحادُ والتَّكاتفُ والتَّعاونُ من غيرِ أن يشعروا، فتتمَّ سعادتُهم وسرورُهم".

ومرّت أيّامٌ وأعوامٌ، وأحبّ الرّبّ أن يزورَ خلقَه ليرى حالتَهم وكيفَ يعيشونَ؛ ولينظرَ أسعداء هم في حياتِهم الجديدةِ أم هم غير ذلك؟ وأتاهم فألفاهم أسوأ حالًا ممَّا كانوا فيهِ، نعم إنَّهم فعلوا كلَّ ما قدَّره لهم، فاشتركوا في الأعمالِ، ولكنَّ اشتراكَهم كانَ ناقصًا مبتورًا، فإنَّهم انقسموا إلى أحزابٍ وجماعاتٍ وحاولَ كلُّ فريقٍ أن يستأثرَ بالعملِ، وكلَ كلُّ حزبٍ على عرقلةِ أعمالِ غيرِه، وصرَفوا أوقاتَهم

وقواهم جميعًا في التَّنافسِ والتَّزاحمِ فساءت أمورُهم كلّهم، ورأى الرّبّ ذلكَ فأرادَ إصلاحَهم من طريقٍ آخرَ، وكتبَ عليهم الموتَ، وقضى بألَّا يعرفوا وقتَ مماتِهم ثمَّ بلَّغهم ذلكَ وقالَ في نفسِه: "إنَّهم عندما يعرفون أنَّ الموتَ يرتقبُهم في كلِّ وقتٍ يحافظونَ على أوقاتِهم ويبخلونَ بأعمارِهم فلا يصرفونَها في غيرِ صالحِ الأعمالِ".

ولكنَّ ذلكَ انقلبَ إلى الضدِّ، فإنَّه عندما عادَ الرّبّ ليرى حالَ النَّاسِ في طورِهم الجديدِ، لم يجد تغييراً ولا تبديلًا، فإنَّ سوء الحالِ بقي ملازمًا لهم؛ وذلك لأنَّ الأقوياءَ اغتنموا فرصةَ خضوعِ الإنسانِ لناموسِ الموتِ في أيِّ وقتٍ وأيَّةِ حالةٍ، فأخضعوا لإمرتهم الذين أضعف منهم بعد أن قتلوا من استنكفَ منهم، وتوعَّدوا من بقيَ بالموتِ والهلاكِ، وبذلكَ أصبحَ الأقوياءُ وذراريهم من بعدهم يجنونَ ثمرةَ كدِّ الضُّعفاءِ من غيرِ تعبٍ ولا نصبٍ، ولكنَّهم بقوا مع ذلكَ يشكونَ البطالةَ ويتضجَّرون من حياةِ الكسلِ، بينما الضُّعفاء يشتغلون بأكثر ممّا يطيقونَ، ويتألَّمون من جراء قلَّة راحتهم وازدياد أتعابِهم، وكانتِ العداوةُ والبغضاءُ في غضونِ ذلكَ يزدادانِ اتِّساعًا وتعاظمًا بين هذين الفريقينِ من النَّاسِ، وهكذا غدت حياةُ البشرِ بعيدةً عن السَّعادةِ، ورأى الرَّبَّ كلَّ هذا فعزمَ على أن يصلحَ

الأمورَ بآخرِ وسيلةٍ بقيت لديهِ، فأرسلَ كلَّ أنواعِ المرضِ، وصنوفِ العللِ بين النَّاسِ، وظنَّ أنَّه متى تعرَّضَ النَّاسُ على السّواءِ لفتكِ تلكَ العللِ والأدواءِ فلا بدَّ أن تتحركَ عواطفُ الرَّحمةِ في قلوبِ الأصحاءِ فيحنوا على المرضى ويواسوهم ويمدّوا لهم يدَ العونِ والمساعدةِ؛ حتَّى يقابلَهم المرضى بالمثلِ متى وقعوا في قبضةِ المرضِ وأصابَهم أذاه.

وتركَ الرّبّ بني البشرِ بعدَ ذلكَ ولم يرجع إليهم إلَّا بعدَ زمانٍ طويلٍ ليرى عاقبةَ الدَّواءِ الذي جرَّعه للنَّاسِ، فإذا حياتُهم أسوأُ كثيراً من ذي قبل، فإنَّ الأمراضَ التي أوجدَها الرّبَّ لتكونَ وساطةً لتأليفِ القلوبِ؛ كانت سبباً للتَّفرقةِ والتَّباعُدِ فبقيَ الأقوياءُ يستخدمونَ الضُّعفاءَ في حالِ مرضِهم ولا يعنونَ بهم عندما تحلُّ بهم إحدى العلل، وهكذا كان أولئك المساكينُ يعملون لمنفعةِ غيرِهم طولَ حياتِهم، ويخدمونَ سادتَهم في الصِّحَّةِ وفي المرضِ، بينما هم لا يجدونَ فرصةً يداوونَ فيها أمراضَهم، ولا يلقونَ عنايةً ولا عطفًا من أحد. نعم، إنَّه قد بُنِيَت لهم بيوتٌ خاصَّةٌ ليقضوا فيها أيَّامَ المرضِ فيحيوا أو يموتوا؛ وذلك لأجلِ ألَّا يعكّر منظرَهم وهم بين أنيابِ الدَّاءِ سرورَ أولئكَ الأقوياء وغبطتهم، وكان أولئكَ المساكينُ يُترَكونَ

في تلكَ البيوتِ لعناية أناسٍ مأجورينَ يمرضونهم من غيرِ عاطفةِ حنانٍ أو رحمةٍ. وفوقَ هذا كلِّه فإنَّ النَّاسَ عدّوا كثيراً من الأمراضِ ممّا يعدى، وحملَهم خوفُهم من العدوى ليس على اجتنابِ الاختلاطِ بالمريضِ فحسب، بل على الابتعادِ عن كلِّ من يخالطُ المريضَ أيضًا.

ورأى الرّبّ هذه الأمورَ فقالَ يخاطبُ نفسَه: "إذا كانت هذه الوسيلةُ أيضًا لم تكفِ لإفهامِ النَّاسِ أينَ تكونُ السَّعادةُ فليكن الألمُ في المستقبلِ مرشدَهم ومعلِّمَهم" ثمَّ تركَ أمورَ النَّاسِ لهم ليتصرّفوا فيها كما يشاؤون.

ومرّت على البشرِ عصورٌ كثيرةٌ قبلَ أن يفهموا كيفَ يكونونَ سعداء. وفي الأيَّامِ الأخيرةِ فقط بدأ قليلونَ منهم يدركون أنَّ العملَ ليسَ هو استعباد العاملين، بل هو وظيفةٌ عامَّةٌ مشتركةٌ يؤلّف بين النَّاسِ ويجمعُ شملَهم، وشرعوا يفهمون انَّ الشيءَ الوحيدَ الذي يجبُ أن نقابلَ بهِ تهديدَ الموتِ لنا في كلِّ آن، هو أن نصرفَ أعمارَنا في الاتِّحادِ والألفةِ والمحبّةِ والسَّلامِ، وأنَّ العللَ والأمراضَ بعيدةٌ عن أن تفرقَ

بينَ النَّاسِ، بل هي على الضدِّ من ذلك توجد لهم فرصة للتَّحابب والاتِّحاد.

دمشق: محرم سنة ١٣٣٩. أكتوبر (تشرين أوّل) سنة ١٩٢٠.

الزَّهرة (فينوس)

أسطورة

(مترجمة عن كتاب الصُّور لمارك توين، وقد
كُتِبَت في زمن شيوع خرافة المارد المتحجِّر في
الولايات المتَّحدةِ الأمريكيّة)

الفصل الأوّل

(منظر غرفة مصوِّر في روما)

- آه يا جورج، إنَّني أُحِبُّكَ وأهيمُ بكَ.
- بارَكَ اللهُ في قلبِكِ الطَّاهرِ يا ماري، أنا أعرفُ ذلكَ، وأعرفُ أيضًا سببَ قسوةِ
أبيكِ وغلظتِه.

- إنَّ نيّتَه طيبةٌ يا جورج، ولكنَّه يعدُّ الفنَّ حماقةً من الحماقاتِ، والشَّيءُ الوحيدُ الذي يفهمُه هو (البقالةُ). إنَّه يعتقدُ أنَّكَ تميتُني جوعًا إذا تزوّجتني.

- ما أضلَّه عن الصَّوابِ! إنَّ الهدى هدى اللهِ. لماذا يا ربّ لم أكن ممَّن يسكّ النُّقودَ، ولِمَ لم أكن بدالًا عوضًا عن أن أكونَ نحَّاتًا لا أملكُ ما أقتاتُ بهِ؟

- لا تقنط يا عزيزي جورج، إنَّ كلَّ ما تحتملُه سيضمحلُّ ويتلاشى حالما تحصلُ على خمسين ألفَ ريا..

- خمسين ألفَ عفريتِ! ... إنَّني لا أزالُ مدينًا بثمنِ طعامي!

الفصل الثَّاني

منظر – مسكن في روما

- لا فائدةَ من الكلامِ يا سيَدي العزيزَ، إنَّه ليسَ لديّ ما أقولُه فيكَ، غيرَ أنَّني لا أستطيعُ أن أدعَ ابنتي تتزوَّجُ حبًّا وصناعةً وموتًا من جوعٍ. أنا على يقينٍ أنَّه ليسَ لديكَ شيءٌ آخرُ تعرضُه.

- نعم أنَّا فقيرٌ يا سيَدي، وإنّي أقرّ بفقري ولا أنكرَه، ولكن أليست الشُّهرةُ شيئًا؟ إنَّ الشَّريفَ فلانًا من (أركانساس) قال لي إنَّ تمثال أمريكا الجديد الذي صنعته هو آية من آيات الصِّناعة، وإنَّه على ثقةٍ من أن اسمي سيكون شهيراً خالدًا في يومٍ من الأيّامِ.
- ما شاءَ اللهُ! ما الذي يعرفُه هذا الحمارُ الأركانسانسي من ذلك؟ إنَّ الشُّهرةَ لا شيء، يجبُ أن تنظرَ إلى الثَّمنِ الذي تأتي به فزَّاعتُكَ الرّخاميّةُ عندَ عرضِها في السَّوقِ. إنَّكَ عكفتَ على نحتِها مدَّة ستة شهور متوالية، وأنتَ اليومَ لا تقردُ أن تبيعها بمائة ريال. لالا يا سيَدني أرني خمسين ألف ريال في حوزتك ثمّ تعال لأزوّجك ابنتي، وإلَّا فإنَّها تتزوّج من الشَّاب (سيمبر). إنَّ لك مهلة ستَّة أشهر لتحصلَ على النُّقودِ. عم صباحًا يا سيَدي.
- واأسفاه! الويل لي!

الفصل الثَّالث

منظر – غرفة المصوّر

- آه يا جون، يا صديقَ صباي، إنَّني أشقى رجلٍ في الكَوْنِ.
- إنَّكَ لأَبْلَهُ.
- لم يبقَ لي شيءٌ أحبّه سوى تمثالِ أمريكا الذي صنعتُه، ولكن انظر إليها تجد أنَّ ملامحَها الحجريّةَ الجامدةَ خاليةٌ من عاطفةِ الميلِ إليّ، إنَّها جميلةٌ جدًّا ولكنَّها بلا قلبٍ!
- إنَّكَ لجمادٌ!
- آه يا جون.
- آه يا (هلاس) ألم تقل لي إنَّ لديك فرصةَ ستَّةِ أشهر لتحصلَ على النُّقودِ؟
- لا تهزأ بي بربِّكَ يا جون، ولا تضحك عليّ وأنا في بلواي؛ وكيف تسعدُ الفقيرَ ثروةٌ أو أصدقاء؟
- حقًّا! إنَّك أبله وجبانٌ وطفلٌ، لديك ستَّة أشهر لتحصل على الدَّراهم، وفي طوقِكَ أن تحصلَ عليها في خمسة!
- ماذا تقول؟ كيف يمكنُ أن توصلَني إلى ذلكَ المبلغِ الجسيمِ؟
- هل ترضى أن تدعَ لي هذه القضيّةَ وألَّا تتدخَّلَ فيها؟ وهل تقبلُ أنْ تكلَها لي وتعدَني ألَّا تعترضَ عملًا من أعمالي؟

- أنا منهوكُ القوى مشتَّتُ الفكرِ، ولكنّي أقسمُ لكَ أنَّني لا أعترضُكَ ولا أعصي لكَ أمراً. فتناولَ جون حينئذٍ المطرقةَ وعمدَ إلى أنفِ أمريكا فهشمَه، ثمَّ ضربَ ضربةً ثانيةً أسقطت أصبعين من أصابعها على الأرضِ، وأتبعَها بثالثةٍ ذهبت بجزءٍ من أذنها، ورابعةً بترت صفًّا من أصابعِ قدمِها، وخامسةً كسرت ساقَها اليسرى وألقتها على الأرضِ بدداً!

وبعدَ ذلكَ لبسَ جون قبّعتَه وغادرَ المكانَ. أمّا جورج فإنَّه ألفى على تمثالِه المشوَّهِ نظرةً طويلةً من غيرِ أن ينبسَ ببنتِ شفة ثمَّ سقطَ على الأرضِ وَاعترته هزَّةٌ لا يستطيعُ القلمُ وصفَها.

وعادَ جون بعدَ قليلٍ مستصحبًا عربةً فحملَ المصوّرَ المكسورَ القلبِ، والتِّمثالَ المكسورَ السَّاقِ، وجرتِ العربةُ بهم جميعًا، وكان جون يصفر في أثناء الطَّريقِ بهدوء وسكينةٍ؛ ولمَّا وصلتِ العربةُ مسكنَ المصوِرِ أمرَه رفيقُه بالنُّزولِ فامتثلَ، ثمَّ واصلتِ العربةُ سيرَها حاملةً التِّمثالَ وجون، وما زالت سائرةً حتَّى توارت عنِ الأبصارِ في شارعِ (كيرنياليز).

الفصلُ الرّابعُ

(منظر – غرفةُ المصور)

– ستنتهي السّتة أشهر في السّاعة الثّانية من هذا اليوم!
واكرباه! إنَّ عودَ حياتي يبسَ وذوى؛ إنَّني أتمنّى لو كنتُ من سكّانِ القبورِ. لم أتعشَّ أمسِ، وليس عندي اليوم ما أفطرُ بهِ، ولستُ أجرؤ على انتيابِ المطاعمِ. والجوع ... لا تذكرّهُ بربّكَ! صانعُ أحذيةٍ يلحّ في مطالبتي إلحاحًا بليغًا، والخيّاطُ لا يفترَ

عن ملاحقتي ولا يملُّ، وصاحبُ البيتِ يكثرُ التَّردُّدَ عليّ. إنَّني لجدّ بائس. لم أرجون منذ ذلك اليوم المخيفِ، أمَّا هي، فإنَّها تبسمُ لي بعطفٍ عندما نتقابلُ في الشَّارعِ، ولكنَّ أباها الشَّيخَ القاسي يضطرُها بكلمةٍ صغيرةٍ على أن تشيحَ بوجهِها عنّي وتنظرَ إلى جهةٍ أخرى ... والآنَ، من هذا الذي يطرقُ الباب؟ من القادم ليعذِّبَني؟ ذلك هو النَّذل الخبيثُ صانع الأحذيةِ، لا بدَّ من السَّماحِ لهُ بالدُّخولِ، ادخل!

- آه، خدمت سموّكم السّعادة، وكلأتم أعينَ السّماء! لقد أحضرتُ حذاءَ مولاي الجديد، آه، لا تقولوا شيئًا عن الثَّمن فلا حاجةَ للتَّعجيلِ فيهِ، وإنّي لألتمسُ من مولايَ النَّبيلِ تشريفي بالاستمرارِ في معاملتي، آه! أستودعكم الله!
- هو أحضرَ الحذاءَ بنفسِه! ثمَّ لا يريدُ ثمنَه! يفارقُني منحنيًا باحترامٍ يليقُ بالملوكِ! ويطلبُ الاستمرارَ في معاملتي! هل قامتِ القيامةُ وفرغ أجل العالم! من كل الـ... ادخل!
- ألف عفو يا مولاي عن هذا التَّطفُّل ... سيادتكم! إنَّني أعددتُ لكم عدَّة غرف جميلة في الطَّابق الذي تحتَ هذا لأنَّ هذا المكانَ الحقيرَ لا يليقُ بهِ ...

- ادخل!!!
- لقد أتيتُ ياسيِّدي لأبلغَكم أنَّ مصرفَنا على استعدادٍ تامٍّ لأداءِ ديونِكم والعودة إلى سيرتِه السَّالفةِ في معاملتِكم، وسنكونُ من أسعدِ النَّاسِ إذا تفضَّلتُم وحوَّلتم علينا أيّ ...
- ادخل!!!!
- ولدي العزيز! إنَّها لك! وستكون هنا السّاعة! خذها! تزوّجها! أحببها! كن سعيدًا! فليبارك الله فيكما! ...
- ادخل!!!!!
- آه يا عزيزي جورج لقد أُنقِذنا.
- آه يا عزيزتي ماري، نعم لقد أُنقِذنا ولكنّي أقسم لكِ أنَّني لا أعرفُ لِمَ وكيفَ أُنقِذنا

الفصل الخامس

(منظر – مقهى في روما)

رجلٌ أمريكيٌّ في رفقة من بني قومه يقرأ لهم في العدد الأسبوعيَ من جريدة (آيل سلانغ دانفر دي روما) ويترجم ما يقرأ كما يأتي:

اكتشافٌ غريب

"منذ زهاء ستَّة شهور ابتاعَ السّنيور جون سميث – وهو أمريكيٌّ يسكنُ روما منذ سنواتٍ – بمبلغ قطعة أرض صغيرة في كامبانيا وراء مقابر أسرة شيبيو من مالكها وهو رجل فقيرٌ من أقاربِ

الأميرِ بورغس، وقد ذهب المستر سميث بعد ذلك إلى وزير السِّجل العامّ وحول ملكيّة الأرض إلى نحّات أمريكيٍّ فقيرٍ اسمه جورج أرنولد مبيّنا أنَّه فعل ذلك جزاء لبعض الضَّرر الماديّ الذي وقع منه عفوًا أو أظهر عدا عن هذا استعداده لتقديم ترضية إضافيّة بإصلاح القطعة وتحسينها على نفقته الخاصَّة.

ومنذ أربعةِ أسابيعَ مضت اكتشف السّنيور سميث أثناء حفريَّاتٍ قام بها في تلكَ الأرضِ أشهر تمثال قديم أُضيفَ إلى خزائنِ روما الفنيّةِ. أمَّا التّمثالُ فله وجهُ امرأةٍ من أجمل ما يكون وأبدع، وهو - مع تلوَّثه ويالِلأسف بالتُّرابِ والأوساخِ المتراكمةِ مدَّة تلك العصورِ الطَّويلةِ – لا تشبع الأعين من النَّظرِ إلى جمالِه الفتَّانِ. إنَّ أنفَ التِّمثالِ وساقَه اليسرى من الرّكبة وأصبعين من أصابع يديه وأصابع قدمه اليمنى ذاهبة، ومع هذا كلِّه فإنَّ وجهَه البديعَ في حالةٍ جيِّدةٍ تستلفتُ الأنظارَ. وقد بادرتِ الحكومةُ إلى وضعِ يدِها على التِّمثالِ وعيّنت لجنةً فنيّةً مؤلّفةً من علماء العاديات ورجالِ الكنيسةِ ليقدِّروا ثمنَه ويفرضوا مكافأة لصاحبِ الأرضِ الذي وجدَ التِّمثالَ فيها، وبقيَ الأمرَ سرّا مكتومًا حتَّى الليلة الماضية، فقد كانتِ اللَّجنةُ تجتمعُ تحت طيِّ الخفاء، وفي اللَّيلةِ المنصرمةِ قرّرت

أنَّ التِّمثالَ هو تمثالُ الزّهرة (فينوس) وأنَّه من صنعِ نحَّاتٍ ماهرٍ ذي مواهبَ ساميةٍ من أقل القرنِ الثَّالثِ قبلَ المسيحِ، وعدَّته أعظم عملٍ فنيٍ سالمٍ من العيوبِ عرفه العالمُ على الإطلاقِ. وفي منتصفِ اللَّيلِ عُقِدَ اجتماعٌ نهائيٌ تقرّرَ فيهِ أنَّ فينوس تساوي مبلغًا عظيمًا من المالِ، وهو عشرة ملايين فرنك! ولمَّا كنت قوانينُ روما وعاداتُها المرعيّةُ تقضي بأن يكونَ نصفُ ما يُكتَشَفُ من الآثارِ في كامبانيا ملكًا للدَّولةِ فإنَّ الحكومةَ ستدفعُ خمسة ملايين فرنك فقط إلى المستر آرنولد ويكون التِّمثال البديع بعد ذلك خالصًا له. وفي هذا النَّهارِ ستنتقلُ (فينوس) إلى (الكابيتول) لتبقى هناكَ، وعندَ الظُّهرِ ستكونُ اللَّجنةُ في انتظارِ المستر آرنولد ومعها أمرٌ من قداسةِ البابا إلى الخزينةِ بدفعِ ذلك المبلغِ الضَّخمِ ذهبًا"

أصواتٌ كثيرةٌ – يا لحسنِ الحظِّ! إنَّ هذا لم يسبقْ لهُ نظيرٌ!

صوتٌ آخر – أيُّها السَّادةُ، أنا أقترحُ أن نؤلِّفَ فوراً جمعيّةً أمريكيّةً لتشتريَ الأرضِ وتحفرَ الحفريَّات وتستخرج منها التَّماثيل ...

الجميع – رضينا.

الفصل السّادس

(منظر – الكابيتول بعد عشر سنين)

عزيزتي ماري! هذا هو أشهر تمثال في العالم، هذه هي (فينوس الكابيتول) الطَّائرة الذكر التي سمعتِ عنها شيئًا كثيرًا. لقد كانَ فيها بضعة عيوبٍ صغيرة قام بإصلاحها أشهرَ نحّاتي روما فخلدوا – بإصلاحهم هذه الخلقةِ السَّامية – أسماءَهم ما دامتِ الأرضُ والسّماءَ. ما أغربَ هذا المكانَ! لم أكن قبل أن أقفَ هنا لآخرِ مرَّةٍ – قبلَ عشرِ سنواتٍ مضت – رجلًا مثريًا، بل لم أكن أملك سنتيمًا

واحدًا، ومعَ أنَّني صاحبٌ مواهبَ تجعل روما مالكةً لأسمى ما ابتكرَه الفنَّ القديمُ في الكونِ بأسرِه.

- فينوس المعبودة! فينوس الكابيتول الجليلة! أي مبلغٍ تساوي هيَ؟ عشرة ملايين فرنك؟
- نعم، إنَّها الآن تساوي ذلك.
- آه يا جورج، ما أبرعَ جمالَها السّماويّ.
- نعم، ولكنَّها الآن ليست شيئًا مذكورًا بالنِّسبةِ لما كانت عليهِ قبلَ أن يحطِّم جون سميث الميمون ساقَها ويعطب أنفها، آه يا سميث ما أدهاكَ وأذكاكَ وأنبلَكَ! آه يا مؤلِّفَ كتابِ سعادتنا وهنائنا.

استمعي! هل تعرفينَ ماذا تقولُ أنفاسُنا في تردُّدِها؟ ماري! إنَّ هذا الطِّفلَ يسعلُ سعالًا شديدًا، هلَّا تريدين أن تتعلَّمي العناية بالأطفالِ؟

الخاتمة

إنَّ فينوس لا تزالُ في الكابيتول في روما، ولا تزالُ أيضًا أبدع وأجلّ عمل من أعمال الفنِّ القديمِ، يفتخرُ بهِ الكونُ ويزهو. وإذا أُتيحَ لكَ في يومٍ من الأيامِ أن تقفَ أمامَه وتغرقَ في بحورِ الذُّهولِ والإعجابِ بهِ فلا تدع هذه الحقيقةَ، حقيقة تاريخ أصله السِّريّ تشوِّه غبطتَك وتعكِّر سرورَك.

ومتى قرأتَ شيئًا عن (الرّجُلِ المتحجِّر) الهائل الذي استُخرِجَ من قربِ (سيراكوز) في ولاية نيويورك أو من مكانٍ آخرَ، فاحتفظ بالنَّصيحةِ حتَّى إذا جاءَكَ السِّمسارُ المحتالُ الذي دفنَه هناكَ، وعرضَ عليكَ بيعَه لكَ بأيّ مبلغٍ جسيمٍ، فلا تشترِه منه، بل أرسلْه للبابا!

دمشق في ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ أغسطس سنة ١٩٢٠.

(تمت)

لقد مثّل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قُدرة استثنائية على التجدّد والتنوّع في حركته وتحوّلاته التقنية، بدءًا من الإيماءة ومرورًا بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءًا مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّدًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقُنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الوسيع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقُرّاء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان

مشروع النشر الرقمي